الشعراوى

١٨ سنة فى مكة المكرمة

ما رأيت سيدنا إبراهيم

وفى الروضة الشريفة تلقيت البشارة

سعيد أبو العينين

مطبوعات مايو

المدير العام :

عــلوى عــامــر

● دار مايو الوطنية للنشر ●

١٦ شارع المنتزة ـ الزمالك ـ القاهرة
ت : ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩
ص . ب : ١٢٥ الجيزة Fax : 3409046



الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

مقدمة

على جمل، سافر الشيخ الشعراوى، من قريته دقادوس إلى مكة المكرمة، قاصدا الحج!

كان ذلك سنة ١٩٣٦.

وكان الشعراوى وقتها طالبا بالأزهر.

وكان الأزهر فى تلك الأيام البعيدة يقوم بإرسال بعثة للحج، وكل من يرغب عليه أن يسدد عشرين جنيها هى قيمة رسوم الحج. وحصل الشعراوى على هذا المبلغ من أبيه، وأخذ معه قفة عيش، وصفيحة جبنة قديمة، وعلبة دقة، وربع خروف قامت أمه بتقطيعه إلى قطع صغيرة وتنشيفها فى الزيت والسمن المغلى!

وقد عاش الشيخ الشعراوى حياته كلها يتذكر وقائع تلك الرحلة ويقول : إنها أجمل رحلة فى حياتى!

●●●

بعد ١٤ سنة من تلك الرحلة.

وبالتحديد فى سنة ١٩٥٠، سافر الشيخ الشعراوى للعمل فى مكة المكرمة، أستاذا بكلية الشريعة.

وامتدت رحلة العمل هذه إلى ١٨ سنة!

وقد بقيت تلك الأيام، أيام مكة المكرمة، التى امتدت بطول ١٨ سنة، هى أحلى الأيام فى حياة الشيخ الشعراوى.

وبقيت ذكرياتها هى أجمل الذكريات على امتداد العمر، بكل ما حفلت به من أحداث ووقائع كان لها تأثيرها الكبير والعميق فى حياة الشيخ، الذى أصبح بعد ذلك واحدا من أكبر وأشهر الدعاة فى هذا القرن.

والغريب أن فكرة السفر للعمل فى مكة المكرمة جاءت على غير رغبة الشيخ الشعراوى!

بل إنه اعتبر ترشيحه للعمل هناك، ووضع اسمه ضمن قائمة المبعوثين، مؤامرة للتخلص منه وإبعاده عن الأزهر! وأن هذه المؤامرة دبرها خصومه من المشايخ الطامعين فى المناصب عندما رأوا اقترابه من شيخ الأزهر!

وزاد من احساسه بالغضب والحزن والمرارة، أن مؤامرة المشايخ جاءت متزامنة مع مؤامرة أخرى دبرها له بعض قيادات حزب الوفد لابعاده عن النحاس باشا زعيم الوفد، خشية أن يؤدى اقترابه منه إلى اختياره وزيرا فى حكومة الوفد!

وكان الشيخ الشعراوى قد أمضى زهرة شبابه يهتف للوفد، ولزعيم الوفد النحاس باشا، ويقبل يده، حتى بعد أن تخرج فى

الأزهر وأصبح حاملا لشهادة العالمية!

في ذكرياته عن مؤامرة المشايخ ومؤامرة بعض قيادات حزب الوفد، يلقى الشيخ الضوء على جوانب هامة من حياته في تلك الأيام التي سبقت السفر للعمل في مكة المكرمة.. ويكشف عن قبوله السفر تحت ضغط الضائقة المالية التي كان يعانيها، وحتى يتمكن من سداد ديونه التي بلغت ٣٥٥ جنيها، وهو مبلغ كبير بحسابات تلك الأيام! ويذكر الشيخ أن مرتبه كان ١٧ جنيها بعد سبع سنوات من العمل، وكانت له زوجة وعنده خمسة من الأولاد والبنات، وكان والده قد تحمل نفقاته ونفقات هذه الأسرة سنوات طويلة، ويذكر أيضا أن أمه قالت له قبل السفر، وهى تخفف عنه أحزانه، أنها رأته في المنام وهو يحمل «قفة فلوس»!

●●●

كيف رأى الشيخ الشعراوى مكة المكرمة سنة ١٩٥٠؟

كيف قضى ليلته الأولى هناك ؟

كيف عاش تلك السنين الطوال فى أشرف وأطهر بقاع الأرض؟ مكة التى أكرمها الله، ورفع ذكرها، وحفظ لها مكانتها؟

أيضا، كيف رأى الشيخ المدينة المنورة، في تلك الأيام؟

كيف رأى مهبط الوحى، ومنطلق الرسالة، ومثوى الرسول الكريم ﷺ ؟

●●●

خلال إقامته هناك، قابل الشيخ الشعراوى كل الملوك الذين توالوا على قيادة المملكة العربية السعودية. هكذا قال لى.

فكيف كان اللقاء مع الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة؟ وكيف كان اللقاء مع الملك سعود؟ والملك فيصل؟ والملك خالد؟ وأخيرا مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، الذى يذكر الشيخ

أنه تعرف عليـه منذ ٤٣ سنة، عندما كان أمـيرا فتـيا، وأول وزير للمعارف عندما أنشئت هذه الوزارة.

وتتوالى الذكريات التى يرويها الشيخ عن أيامه فى مكة المكرمة.

وفى سياقها نعرف الكثير عن الكعبة المشرفة.

عن تاريخها؟ وقصة بنائها؟ ولغز الحجر الأسود؟

عن كـسوتهـا التى حملـت اسم مصـر ٧٠٠ سنة؟ وعن الذين تعلقوا بـأستارها ولم يقـفوا عند طلب المغـفرة! مثل مـجنون ليلى الذى سالت دموعه وهو يطلب من الله أن يزيده من حب ليلى!

عن مقـام إبراهيم؟ وعن الماء المبارك الذى يتدفق من أقـدم بئر فى التاريخ؟

عن عمليات التطوير والإعمار والتـوسعة الكبرى التى لم يشهد المسـجد الحـرام مثلهـا على امتـداد تاريخـه! والتى يذكر الشـيخ الشعراوى بفخر واعتزاز، أنه شـارك فى بنائها كواحد من العمال! وحمل «المونة» على ظهره وكتفه ورأسه، وكان له الحظ والشـرف، بهذا العمل الذى يخص بيت الله الحرام.

●●●

بعيـون الشيخ الشـعراوى نرى الكعـبة المشرفـة، ونطوف من حولها، ونرى المسجد الحرام فى صورته الآن.

وبعيون ابن بطوطة وابـن جبير نرى الكعبـة المشرفة، ونطوف من حولها، ونرى المسجد الحرام، وكيف كان منذ سبعة قرون؟

وبعـيون اثنـين من المستـشـرقيـن، أحدهمـا إيطالى والثـانى سويسرى، نرى الكعبة، ونطوف من حولها، ونرى المسـجد الحرام، وكيف كان منذ ٤٨٩ سنة؟ ومنذ ١٧٣ سنة ؟

لقـد دخل المسـتـشـرق الإيطالى الكعـبـة باسم الشـيخ يونس المصرى! أمـا المستـشرق السويسـرى فقـد دخلها بعـد أن اعتنق الإسلام واختار لنفسه اسم الشيخ ابراهيم السويسرى!

وتتوالى الذكريات.

ومن وصف الكعبة المشرفة، إلى يوم الاحتفال بغسل الكعبة.

وإلى الباب الذهبى ومفتاح الكعبة الذى تتوارثه أسرة واحدة، لا ينازعها أحد فى هذا الشرف، شرف سدانة الكعبة.

وإلى يوم دخول الميكروفون إلى المسجد الحرام لأول مرة، وكيف واجه الشيخ الشعراوى المعترضين على استخدامه؟

وإلى الحكايات الباسمة التى يرويها الشيخ وهو يضحك من قلبه، وبعض هذه الحكايات جرت فى الكعبة، وعلى أبواب المسجد الحرام!

●●●

ومن مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، تتواصل الذكريات.

يروى الشيخ عن المسجد النبوى والزخرفة التى أضيفت إليه سنة ١٩٥٣ فى إطار عملية الإعمار، والذى قاله الشيخ يوم الاحتفال باتمام هذه العملية.

وعن الروضة النبوية الشريفة.

ويصف لنا صورة النبى ﷺ وكيف كانت الملامح والقسمات؟

ويبوح بأسرار «البشارة» التى تلقاها وهو فى الروضة الشريفة. وكيف تحققت هذه البشارة بعد ذلك؟

ومن حديث «البشارة» إلى حديث الليلة المباركة التى لا ينساها الشيخ أبدا.

الليلة التى يحكى عنها بفرح وسعادة ويقول : فى هذه الليلة المباركة.. رأيت سيدنا إبراهيم.

لقد شرفنى الله، وشرف عينى برؤية سيدنا إبراهيم الخليل.

●●●

لقد عاش الشيخ الشعراوى ـ رحمه الله ـ العمر كله يتذكر أيامه الجميلة فى مكة المكرمة، ويقول :

لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجعل تلك الأيام الجميلة التى أمضيتها فى مكة المكرمة «غسول» لى مما نالنى على يد بعض كبار المشايخ فى الأزهر، وبعض قيادات حزب الوفد.

لقد جاءنى الخير كله.

جاءت دنياى فى حضن دينى.

وجاء دينى فى حضن دنياى.

فالحمد لله.. الحمد لله.

وذكريات الأيام الجميلة التى يرويها الشيخ الشعراوى جاءت فى سياق حوارات مطولة، امتدت على مدى شهور، وهى وإن كانت تلقى الضوء على جوانب عديدة فى حياة الشيخ وسيرته التى صاغتها وقائع تلك الأيام الجميلة، فهى أيضا رحلة روحية معه، طولها ١٨ سنة، فى أشرف وأطهر وأقدس بقاع الأرض :

مكة المكرمة.

والمدينة المنورة

سعيد أبو العينين

الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة



١

أجمل رحلة فى حياتى

على جمل .. من بلدنا
إلى مكة المكرمة

- مع بعثة الأزهر.. ذهبت للحج وأنا طالب
- كان معى قفة عيش.. وصفيحة جبنة قديمة.. وربع خروف!
- طريقى إلى الأزهر.. كان بداية الطريق إلى الحج
- أبويا «الغلبان» دفع لى رسوم الحج لكى يحببنى فى الأزهر..



أجمل رحلة فى حياتى

كانت أجمل رحلة فى حياتى.

ولازلت أذكر وقائعها بالتفصيل وكأنها حدثت اليوم، وليس منذ ستين سنة!

لقد ركبت الطائرات. كل أنواع الطائرات، العامة والخاصة، وركبت البواخر، وطوّفت بكثير من بلاد الدنيا، شرقا وغربا، لكن هذه الرحلة تبقى هى الأهم، وهى الأجمل، فى حياتى كلها.

لم تكن بالطائرة. ولا بالباخرة.

كانت على جمل!

وعلى الأقدام أيضا.

وكانت إلى أقدس بقاع الدنيا.

إلى مكة المكرمة.

إنها أول رحلة أقوم بها إلى بيت الله الحرام. رحلة الحج.

والذى يجعل لها هذا الجمال هو أننى قمت بها وأنا طالب بالأزهر الشريف.

ويصمت الشيخ لحظات.

وبذاكرته القوية يعبر السنين الطوال عائدا إلى الوراء، ويتذكر، ويروى ذكريات أول رحلة وأجمل رحلة فى حياته كلها.. يقول :

كان ذلك فى عام ١٩٣٦.

كنت وقتها طالبا بالأزهر الشريف.

فى تلك الأيام كان الأزهر الشريف يقوم بعمل بعثة للحج كل عام.. وكان الطالب الذى يرغب فى الحج يدفع ٢٠ جنيها ويتحمل الأزهر باقى النفقات.

كان الحج وقتها على ظهور الجمال.

وكانت رحلة الحج تستغرق أكثر من ثلاثة شهور. وكانت شاقة ومجهدة.

كنا نمشى فى الأصيل، قبل المغرب بقليل.. ونواصل السير إلى ما شاء الله.. إلى أن نتعب فنتوقف ونستريح، ثم نواصل السير.

كانت الوسائل بدائية.

وكانت الرحلة مجهدة لكبار السن، لكنها بالنسبة لى ولزملائى من الشباب لم تكن كذلك.

كنا نقوم بخدمة القافلة.

كنا نمشى فى مقدمتها مع « الحُداة» الذين ينشدون الأناشيد والأهازيج الدينية، ويصلون على النبى ﷺ ويبتهلون إلى الله وعيونهم تفيض من الدمع.

كنا نردد الأناشيد وقلوبنا مليئة بالمواجيد.

وكانت الجمال تسير من ورائنا محملة بأمتعتنا، والذين ليست لديهم القدرة على المشى يركبون.

● ونسأل الشيخ : وماذا أخذت معك فى هذه الرحلة؟ ما هى «الزوادة» التى أخذتها لتأكل منها ؟

ضحك الشيخ طويلا وقال :

أذكر أننى أخذت معى ثلاث «قفف».

قفة للعيش الناشف.

وقفة «للقرص».

والقفة الثالثة للجبنة القديمة والدقة.

وكان معى أيضا «ربع خروف».

كان أبى رحمه الله قد ذبح الخروف فى بلدنا وأخذ «ربعه» وقام بتقطيعه إلى قطع صغيرة.. وقامت أمى رحمها الله بتجفيف هذه القطع فى الدهن حتى أصبحت ناشفة تماما.

وكنت وأنا في الطريق آخذ «حتة» أو «حتتين» وأضعهما فى الماء المغلى مع العيش والدقة، وتبقى «أكلة فتة» جميلة ولذيذة جدا.

●●●

وقال الشيخ : كنت وقتها شابا فتيا، وكان الحج بالنسبة لنا فى هذه السن المبكرة قد جعلنا ننطبع بانطباع دينى ووقار سابق لأعمارنا، وظل هذا معنا على امتداد مشوار حياتنا.

لقد حفظت القرآن الكريم وأنا صغير. ودخلت الأزهر وأنا صغير. وارتديت الجبة والقفطان، ووضعت العمامة على رأسى وأنا صغير. وكل ذلك قد ملأ صدرى بالمواجيد الدينية.

كانت النشأة والبيئة وتلاوة القرآن وحلقات الذكر ورجال الطرق الصوفية.. كل ذلك قد ملأ صدورنا بالمواجيد الدينية.. ثم جاءت رحلة الحج مع بعثة الأزهر الشريف، فذهبنا ونحن نشعر أن النور يفرش طريقنا. وقد طبعنا هذا كله بطابع الوقار الدينى، وأبعدنا عن الشطط.

وقال الشيخ : وذكريات تلك الرحلة الجميلة التى قمت بها وأنا طالب فى الأزهر ترتبط بتلك الأيام البعيدة التى عشتها فى الأزهر الشريف، أيام الدراسة، بكل وقائعها وأحداثها.

وقد يبدو غريبا ومثيرا للدهشة، أن أقول الآن أن دخول الأزهر لم يكن رغبتى.. لم أكن أريد الالتحاق بالأزهر. لأننى لم أكن أريد أن أبتعد عن قريتى الصغيرة «دقادوس».. عن الأرض التى

أحببتها. وعن المزارع والحقول وحدائق الليمون والعنب، وعن النيل والرياح والجزر التى يغمرها الفيضان ثم ينحسر عنها فتكسوها الخضرة.

كنت أحب أن أكون مزارعا، وأن أبقى فى «دقادوس» القرية التى فيها ولدت، وعشت طفولتى وصباى وشطرا من شبابى، والتى مازالت فى القلب وعلى اللسان.

فى دقادوس كانت الجذور.

كان الأب والأم والأخوة والأهل والأحباب والصحاب والناس الطيبون.

ودقادوس هى إحدى قرى مصر.

وهى على مسافة أمتار من مدينة ميت غمر محافظة الدقهلية وتعدادها حوالى ١٥ ألف نسمة، وزمامها يصل نحو ٨٠٠ فدان وبينها وبين ميت غمر شريط السكة الحديد.

وقد أفاء الله على أهلها وأعطاهم خيرات كثيرة.

فهى شبه جزيرة.

من الناحية الغربية تجد نهر النيل فرع دمياط.. ومن الناحيتين الشرقية والشمالية تجد الرياح التوفيقى.

وقد سمعنا أن اسم دقادوس هو تحريف لاسم «دقلديانوس» وكان من حكام الرومان، وكان له قصر فى بلدنا على النيل، وكان القصر عبارة عن استراحة من الاستراحات العديدة التى كان يبنيها على امتداد النيل.

وقيل إنه كان لها اسم رومى هو «أتوكوتوس».

أما اسمها العربى فهو «دقدوس».

ووردت فى كتاب نزهة المشتاق باسم دقدوس.

وصارت على اللسان «دقادوس».

والمؤرخ الجبرتى تكلم عنها وقال إن منها الشيخ أحمد القدوسى الذى كان ماهرا فى صناعة تجليد الكتب.

وقبل أن تتوسع دقادوس كانت تحتوى على أربع حارات كبيرة هى :

حارة الباز وهو شيخ من شيوخ الصوفية .

وحارة الجامع الكبير نسبة إلى أكبر جوامع القرية.

وحارة أبو بكر السطوحى نسبة إلى اسم الجامع الملحق به ضريح ومقام أبى بكر السطوحى.

وحارة الشيخ عبدالله الأنصارى وهى الحارة التى ولدت فيها فى ١٥ ابريل سنة ١٩١١.

لكن دقادوس لم تعد تلك القرية الصغيرة التى كانت يوم ولدت فيها. فقد كبرت واتسعت وزحف العمران إليها ومن حولها، وصارت جزءا من مدينة ميت غمر.

لكنها لا تزال فى وجدانى وذكرياتى هى نفسها القرية التى رأيتها طفلا، وجريت فى شوارعها وحواريها. وسبحت فى ترعها ورياحها ونيلها، وتعلمت فى كتاتيبها القراءة والكتابة، وحفظت القرآن الكريم على يد شيوخها. ولم أكن أريد فراقها أو البعاد عنها.

●●●

ويمضى الشيخ فى ذكرياته فى طفولته والتنشئة الدينية وكيف كان طريقه إلى الأزهر.. ويقول :

مازلت أذكر وقائع أيام طفولتى.

لقد تعلمنا فى الكتاتيب.. تعلمنا القراءة والكتابة ونحن نحفظ القرآن الكريم.

كان القرآن الكريم هو طريقنا ووسيلتنا لتعلم القراءة والكتابة والنطق الصحيح.

كنا نستخدم «الألواح الأردوان».

وكانت المرحلة الأولى فى تعلم القراءة والكتابة هى مرحلة «النقط» أو «التنقيط».

كان «العريف» يمسك «اللوح» ويقوم بوضع «النقط» التى تصور شكل الكلمة.. أى أنه كان يكتب الكلمة «بالنقط» مثل « قل هو الله أحد».

ويقوم الطفل بتوصيل النقط بعضها ببعض، وبهذه الطريقة يجد الطفل نفسه قد صور الكلمة بالكتابة.

ثم تأتى مرحلة الحفظ جماعة.

العريف يقول بصوت عال.. والأطفال يرددون وراءه : «قل هو الله أحد».

والعريف الذى كان يقوم بهذه المهمة فى الكتاتيب أيام زمان كان مبصرا بطبيعة الحال.. أما الشيخ فليس ضروريا أن يكون كذلك.

وعلى أيامنا كان شيخ الكتاب يتقاضى أجرا قدره «قرش تعريفة» فى الأسبوع، وكان الأجر يقدم له كل يوم خميس.

أما أطفال الموظفين فكانوا يدفعون للشيخ «شهرية» فى حدود «قرشين صاغ».

والذين ليس عندهم فلوس كانوا يقدمون للشيخ «رغيفين عيش» أو عدد من «كيزان الذرة».

وبالنسبة لى كان الشيخ الذى تعلمت على يديه القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم هو الشيخ عبدالمجيد باشة.

على يد شيخى هذا حفظت القرآن وأنا فى العاشرة، وعلى الرغم من كبر هذا الشيخ وشيخوخته فقد كنا جميعا نهابه ونخشى عكازه و«الفلكة» التى كان يعلقنا فيها إذا نحن لم نحفظ حفظا جيدا، أو إذا لم ننطق نطقا سليما.

وكان والدى يقول له : إضربه وإكسر له ضلعا إذا هو أهمل فى شىء.

ومازلت أذكر «العلقة» الساخنة التى أخذتها بسبب النطق الخطأ للآية التى تقول «حم عسق» ولهذه الجملة فى القرآن نطق خاص غير كتابتها، فهى تنطق كل حرف مفردا هكذا : حا.. ميم.. عين.. سين.. قاف » ولكنى أخطأت ونطقتها كما كتبتها فى اللوح « حم عسق» فأدرك الشيخ عبدالمجيد أننى لم أصغ إليه جيدا وهو ينطقها فوضعنى فى «الفلكة» وكانت العلقة التى أخذتها ساخنة، ولم ينفع الصراخ ولا الاستغاثة.

وقد عرفت بعد ذلك لماذا نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ «مسموعا وليس مكتوبا» وهذا إعجاز من إعجاز القرآن، وإعجاز من إعجاز رسول الله ﷺ بعد أن سمعه، وهو الأمى، من جبريل عليه السلام «إن هو إلا وحى يوحى».

●●●

وقال الشيخ : كانت بلدنا دقادوس مشحونة بالهبات الدينية الروحية، ومشغولة بها على مدار السنة، ثم يأتى رمضان كتتويج لهذه الهبات الدينية الروحية.

فإلى جانب المناسبات الدينية كالميلاد النبوى والإسراء والمعراج، والعيد الكبير والعيد الصغير، وفترة الحج وما يصاحبها من احتفالات.. إلى جانب كل هذه المناسبات كان عندنا خمسة مشايخ طرق تحتفل بهم البلدة.

شيخ لطريقة سيدى أبو خليل.

وشيخ لطريقة أبو الحسن الشاذلى.

وشيخ لطريقة سيدى أحمد الرفاعى.

وشيخ لطريقة سيدى عبدالقادر.

وشيخ لطريقة سيدى أحمد البدوى.

وكان لكل شيخ مريدوه.

وكل جماعة من المريدين كانت تدعو شيخها إلى البلدة فى المناسبات ومعنى هذا أن جميع شهور السنة كانت لا تخلو من مناسبة لشحن المواجيد والمشاعر الدينية.

ومع الاحتفالات الدينية كانوا يوزعون علينا «دلائل الخيرات» فكنا نقرأها ونحفظها، ولذلك كانت النشأة هى نشأة الإلتزام من الطفولة.

●●●

ويروى الشيخ عن السبب الذى جعل والده يصر على إلحاقه بالأزهر فيقول : فى الليلة التى ولدت فيها.. تأخر والدى عن الذهاب لصلاة الفجر على غير عادته.. وجلس أصحابه ينتظرونه فى المسجد، وكان من بينهم خاله.

وعندما حضر.. سأله خاله :

– كنت فين يا متولى ؟

فقال : الست بتاعتى ولدت الليلة، وكنت مشغولا بهذا الموضوع، فقد ذهبت وأحضرت لها «الداية».. والحمد لله، فقد وضعت حملها وجابت «وِلد».

فقال الحاضرون : ما شاء الله.. مبروك يا متولى.

وقال له خاله : أنا رأيته فى «المنام» الليلة.

وأشار الخال إلى منبر الجامع وقال :

– رأيته فوق هذا المنبر.. كان فى صورة «كتكوت» وقف يخطب فى الناس!

واندهش الحاضرون.. وقالوا وهم يضحكون : كتكوت فوق المنبر.. وبيخطب!

وعلق أحد الحاضرين، وكان معروفا عنه الظرف، وقال : أصل الكتكوت الفصيح.. يخرج من البيضة يصيح!

وضحكوا.

وقال الخال :

– ده موش كتكوت خارج من البيضة يصيح.. ده ابن متولى الشعراوى.

ولما سمع والدى ذلك قال :

– لازم يبقى عالم!.. إن شاء الله.

ومن يومها أخذ يعدنى للأزهر.

لكننى لم أكن راغبا فى الالتحاق بالأزهر.

●●●

ويذكر الشيخ أنه حاول أن «يسقط نفسه» فى الكشف الطبى عندما تقدم والده لإلحاقه بمعهد الزقازيق الابتدائى التابع للأزهر.. فقد وضع «الشطة» فى عينيه لكى تلتهب ويقولوا إن نظره ضعيف ولا يصلح!

لكنه اكتشف أن هناك قسما للمكفوفين وأن الكشف الطبى لا يغير من شىء!

وحاول مرة ثانية أن يسقط نفسه فى الامتحان الشفوى وأن يتعمد الخطأ واللخبطة.

ولاحظ ذلك الشيخ الذى كان يقوم بامتحانه، فسأله :

– فيه حد جاى معاك هنا يا ولد؟

فقال : أيوه.. أبويا.

قال الشيخ وهو يشير إلى أحد الحاضرين :

– هاتوه.. نادوا عليه.

وجاء والد الشعراوى.

وسأله الشيخ : ابنك ده حافظ القرآن ؟

قال الوالد : نعم.. إنه حافظ للقرآن الكريم حفظا جيدا.

قال الشيخ : الولد بيعمل إنه موش حافظ ويتعمد اللخبطة، وأنا ملاحظ كده!

ووجه الشيخ الممتحن كلامه إلى الشعراوى قائلا :

- قوم يا ابن الكلب.. ناجح!

ويضحك الشيخ الشعراوى من قلبه ويقول :

وهكذا شاءت إرادة الله أن أدخل الأزهر، وأن تتحقق رغبة والدى:

ويذكر الشيخ الشعراوى أنه رغم التحاقه بالتعليم الأزهرى إلا أنه لم يكن راغبا فى الاستمرار فيه، وكان يعاوده الحنين للعودة إلى قريته والاستقرار فيها والعمل بالزراعة، وأنه أخذ يثقل على والده فى طلب المصروفات وشراء الكتب حتى يضيق به ويوافق على عودته والانقطاع عن الدراسة.

يقول : اتذكر أننى كتبت له «يقصد والده» قائمة طويلة بأسماء الكتب التى أريدها باعتبارها من الكتب المقررة علينا فى الدراسة، ولم تكن هذه الكتب ضمن الكتب المقررة، ولكنى أردت التضييق عليه وتعجيزه.

كانت الكتب التى طلبتها من بين أمهات الكتب فى التراث وغيره، ومنها على سبيل المثال : العقد الفريد وهو فى ثلاثة أجزاء، وشرح نهج البلاغة وهو فى ٢١ جزءا، ومجمع الأمثال وهو فى أربعة أجزاء، والمزهر فى علوم اللغة وأنواعها، وجميع مؤلفات مصطفى لطفى المنفلوطى.. كل هذه الكتب وغيرها كثير طلبت شراءها. وقلت إننى محتاج لها وفى أسرع وقت!

وفوجئت بوالدى يشتريها، وقال وهو يقدمها لى :

إننى أعلم أن هذه الكتب ليست مقررة عليك. ومع ذلك فقد اشتريتها لك لكى تنهل من علومها وتنمى ثقافتك!

كانت الكتب التى طلبتها واشتراها والدى يزيد ثمنها على ثمانية جنيهات، وهذا المبلغ فى ذلك الوقت كان يكفى لشراء جاموسة!

وأذكر أننى طلبت منه يوما أن يعطينى عشرة جنيهات، فسألنى: لماذا عشرة جنيهات. فقلت له : أنا فى حاجة إلى عشرة جنيهات. وفى اليوم التالى أعطانى العشرة جنيهات وهو ضائق. وعرفت بعد ذلك أنه اقترض المبلغ من أحد أصدقائه.

كان والدى على استعداد لأن يعمل أى شىء من أجل أن يحببنى فى الأزهر والاستمرار فيه.

كان يستجيب لكل ما كنت أطلبه منه. وكانت طلباتى كثيرة ومرهقة لكنه كان يفعل كل ما يستطيع لكى يلبى لى طلباتى، وإلى حد التدليل أحيانا مع أنه كان «غلبان»!

●●●

وقال الشيخ : وقبل أسبوعين من دخولى المعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق، أخذنى والدى إلى الزقازيق وقال لى : سأشترى لك أجمل عمامة وأجمل جبة وأجمل قفطان.

وفى الزقازيق ذهبنا إلى محل الطرابيش الخاص بالعمائم. وأخذ الرجل «مقاسى» وقال له والدى :

– عايز أحسن طربوش عمامة.. وأحسن خامة.. وأحسن صنعة.

ورد الرجل : حاضر يا سيدى.. بس تدفع ٢٥ قرشا !

وقال والدى : أنا موافق على المبلغ ومن غير فصال، بس حاجة تكون محترمة.. واللى يشوفها يقول دى أحسن عمامة فى البلد!

وأضاف والدى :

– وخليهم تلاتة!

ورد الرجل : يبقى حسابنا ٧٥ قرشا.

وهكذا اشترينا طرابيش ثلاث عمائم مرة واحدة!

واشترينا فى نفس اليوم كمية من «شيلان» العمائم.

أما الجبة فقد اشترينا قماشها بـ ٦٠ قرشا وفصلناها بـ ٤٠ قرشا.. أى أنها كلفتنا جنيها! وهذا المبلغ لم يكن بسيطا فى تلك الأيام، فالجاموسة كان ثمنها ثمانية جنيهات !

ويوم لبست العمامة لأول مرة وأنا فى طريقى من بلدنا دقادوس إلى الزقازيق للالتحاق بالمعهد الأزهرى كان كل من يقابلنى يقدم لى التحية ويدعو لى بالتوفيق ويناديني «يا شيخ شعراوى»!

وقال الشيخ : أريد أن أقول إن أبويا «الغلبان» الذى فعل كل ذلك من أجل أن أدخل الأزهر، وأن أواصل دراستى فيه.. هو أيضا الذى دفع لى عشرين جنيها لكى أذهب للحج فى أول رحلة جميلة فى حياتى مع بعثة الأزهر الشريف.

وقد فعل ذلك لكى يحببنى فى الأزهر.. الذى كان طريقى إلى بيت الله الحرام.. إلى الحج.

●●●

ويعود الشيخ إلى سياق حديثه عن رحلة الحج الأولى.. ويقول:

كانت تصحبنا فى رحلة الحج «فرقة من الجيش» لحراستنا وتأمين الطريق من العصابات التى كانت تقطع الطريق على الحجاج وتهاجمهم وتسرقهم وتستولى على كل ما معهم.

كان طريق الحج محفوفا بالمخاطر. وكانت كل الدول، وليست مصر فقط. ترسل فرقا من جيوشها لتأمين سلامة الحجاج.

لكن عندما جاء الملك عبدالعزيز آل سعود وأقام المملكة العربية السعودية، تغير الوضع تماما، فقد عمل على تأمين طريق الحج وضرب بيد من حديد على كل من يعكر أمن الحجاج وسلامتهم، وقضى على العصابات واللصوص وقاطعى الطريق، وأصبح طريق الحج آمنا تماما.

ويصف الشيخ مشاعره وهو يرى الكعبة المشرفة لأول مرة فيقول : لا تستطيع الكلمات أن تصف المشاعر وأنت ترى الكعبة المشرفة لأول مرة لأنك تجد نفسك فى «مملكة تانية».



الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

٢

عملى فى مكة المكرمة

بدأ بمؤامرة .. لإبعادى عن الأزهر !

- الطامعون فى المناصب .. أبعدونى عن الأزهر.. وعن النحاس باشا !
- كان مرتبى ١٧ جنيها بعد ٧ سنوات من العمل وكان عندى ٥ من الأولاد والبنات .. وكنت مدينا بـ ٣٥٥ جنيها ..
- قبل السفر.. أمى قالت لى وهى تواسينى : رأيتك فى المنام شايل « قفة فلوس » !



عملى فى مكة المكرمة

فى سنة ١٩٥٠ سافر الشيخ الشعراوى إلى مكة المكرمة، للعمل أستاذا للشريعة.

سافر الشيخ على غير رغبة منه!

كان الأزهر الشريف هو الذى رشحه للسفر والعمل هناك ضمن بعثة الأزهر.

لكن الشيخ اعتبرها مؤامرة ضده لابعاده عن الأزهر! وأن هذه المؤامرة دبرها له خصومه من المشايخ الطامعين فى المناصب والذين اعتبروه منافسا خطيرا لهم!

ولذلك غضب، ورفض، وحاول الاعتذار.

لكن شيخ الأزهر فى ذلك الوقت طلب منه أن يقبل، وأن يسافر، فإذا لم يعجبه الحال هناك، فليعد.. ويكون قد كسب الحج والعمرة!

وتدخل آخرون لاقناعه.

كان الشيخ يشعر بالمرارة، ليس فقط من مؤامر المشايخ ضده.. وإنما لأن هذه المؤامرة جاءت متزامنة مع مؤامرة أخرى دبرها له بعض قيادات حزب الوفد لابعاده عن النحاس باشا زعيم الوفد ومنعه من لقائه، حتى لا يؤدى اقترابه منه إلى التأثير عليه فيختاره وزيرا فى حكومة الوفد! وكان الشيخ قد قضى زهرة شبابه يهتف للوفد ولزعيم الوفد النحاس باشا. ويقبل يده!

فى حديث الذكريات، يروى الشيخ الشعراوى عن المؤامرة التى دبرها المشايخ لابعاده عن الأزهر، وإرساله إلى مكة المكرمة!

والمؤامرة التى دبرتها بعض قيادات حزب الوفد فى تلك الأيام أيضا لابعاده عن النحاس باشا.

وكيف اقتنع أخيرا بالسفر للعمل فى مكة المكرمة.

بذاكرته القوية.. يعبر الشيخ السنين الطوال إلى الوراء.. ويتذكر، ويروى :

حدث ذلك فى سنة ١٩٥٠.

كنت أعمل مدرسا فى طنطا.

وكان شيخ الأزهر الشيخ عبدالمجيد سليم قد ترك منصبه وخرج، وجاء الشيخ حمروش ليتولى مشيخة الأزهر.

وكان الشيخ حمروش أستاذى وشيخ معهدى.

وكان واجبا علىّ أن أذهب لتهنئته والدعاء له بالتوفيق فى مهمته الجليلة كشيخ للأزهر.

وسافرت إلى القاهرة والتقيت بصديق وذهبنا لزيارة الشيخ حمروش وتهنئته.

واستقبلنا الشيخ حمروش بروحه الطيبة، وكان كريما فى ترحيبه بنا.

لم يكن الشيخ حمروش وحده عندما دخلنا لتهنئته. كان معه مجموعة من الأزهريين الذين لهم طموحات وآمال فى الحصول على مناصب مرموقة فى الأزهر، ولذلك أحاطوا به والتفوا من حوله فور اختياره شيخا للأزهر.

وبعد أن انتهينا من تقديم التهنئة أشرت إلى صديقى لكى نستأذن من الشيخ وننصرف.

لكن الشيخ حمروش أشار لى بأن أبقى.. ووجه كلامه لى على

مرأى ومسمع من الحاضرين.

سألنى الشيخ حمروش : أنت شغال فى طنطا يا شيخ شعراوى؟

قلت : نعم يا مولانا.

قال : إيه رأيك تشتغل معانا هنا.. وبلاش طنطا؟

قلت : هذا شرف كبير لى أن أعمل مع أستاذى وشيخى الجليل.

ويذكر الشيخ الشعراوى أنه انصرف مع صديقه بعد ذلك، ولم ينشغل بما قاله الشيخ حمروش.

وعاد إلى طنطا.

وبعد أيام فوجىء بالشيخ حمروش يستدعيه.

وذهب إلى القاهرة لمقابلة الشيخ حمروش وفى ظنه أنه سيسند إليه عملا قريبا منه.. لكنه فوجىء به يعرض عليه السفر إلى السعودية للعمل فى كلية الشريعة التى أنشئت حديثا فى مكة المكرمة!

كان ذلك فى عام ١٩٥٠.

وكانت السعودية قد أنشأت كلية الشريعة، وأرسلت إلى الأزهر تطلب ترشيح عشرة للعمل بالتدريس بالكلية.. واختار الأزهر العشرة ومن بينهم الشيخ الشعراوى.

وقال الشيخ الشعراوى : لقد فوجئت بالشيخ حمروش يقول لى :

– ياوله.. تروح مكة.

والحقيقة أننى صدمت! وأدركت «الملعوب» الذي قام به بعض المشايخ من وراء ظهر الشيخ حمروش!

وسكت لحظات قبل أن أرد. كنت أريد أن أرفض وأقول لا..

لكننى قلت : بيقولوا المعيشة هناك صعبة يا مولانا.

قال الشيخ حمروش : يا وله.. مفيش حد تعرض عليه مكة ويرفضها.

وأضاف فى لطف : سافر.. واعمل عمرة .. وإن عجبك الحال اقعد.. وإذا لم يعجبك ارجع.

وخرجت من عند الشيخ حمروش وأنا غير مستريح وفى غاية الضيق.

وقد تبينت لى الحقيقة كاملة بعد ذلك.. وكانت مفزعة !

فالذين رشحونى للسفر للسعودية للعمل فى كلية الشريعة لم يكن قصدهم صالحى، وإنما «إبعادى» عن شيخ الأزهر! عندما عرفوا أنه يريد أن ينقلنى من طنطا للعمل فى مكتبه، أو فى موقع متميز قريب منه!

كانت مؤامرة ضدى.

والذين دبروا هذه المؤامرة هم المشايخ الذى أحاطوا بالشيخ حمروش للحصول على المناصب وتوزيعها فيما بينهم، وسد الطريق على أى شخص يتخوفون من اقترابه منه.

وباللهجة الشعبية يصف الشيخ الشعراوى ما جرى له، فيقول:

– المشايخ اللى كانوا بيدوروا على المناصب، وبيتصارعوا عليها قالوا الشعراوى «قب وظهر فى الصورة»! ولازم نفرمله ونبعده عن شيخ الأزهر وعن الأزهر.

واتفقوا.. ودبروا المؤامرة من وراء ظهر الشيخ حمروش «وطبخوها» فى إدارة البعوث، وحطوا اسمى ضمن العشرة المسافرين وقالوا للشيخ حمروش إن أنا محظوظ! وإن وضع اسمى ضمن العشرة هو من باب التقدير والمكافأة لى!

واقتنع الشيخ حمروش ولم يتنبه إلى «الملعوب»، ولذلك اندهش

عندما وجدنى غيـر متحمس للسفر، وقـال : «إذا لم يعجبك الحال يا وله.. اعمل عمرة.. وقول لهم سلامو عليكم وارجع»!

●●●

وقال الشـيخ الشعراوى : وخـرجت من عند شيخ الأزهر، فى ذلك اليوم، وأنا حزين ومهموم.

وعدت إلى طنطا.

وطوال الطريق أخذت أفكر وأسترجع ما جرى.

لقد تعرضت للتآمر مرتين فى تلك الأيام.

قـبل مـؤامـرة المـشـايخ كـانت هناك مـؤامــرة بعض كـبـار الشخصيات فى حزب الوفد، الذين عملوا على إبعادى عن النحاس باشا زعيم الوفد، بعد السنين الطويلة التى قضيتها مرتبطا بحزب الوفد وبالنحاس باشا زعيم الوفد.

وراح الشيخ يتذكر فى مرارة حكايته مع حزب الوفد والنحاس باشا والمؤامرة التى دبروها له.. وقال :

كانت بلدنا «دقادوس» كلها وفدية.

وكنت أنا بطبيعة الحال وفديا.

وعندمـا قامت ثورة سنة ١٩١٩ الوطنيـة بزعامـة سعـد باشا زغلول، كنت صبيا فى الثامنة من عمرى.

وقد رأيت سعد باشا مرتين.

كانت المرة الأولى فى بلدنا «دقادوس».. وكـان ذلك عندما جاء فى السفينة «دندرة».

ويومها خرجت بلدنا كلها لتحـيته وهى ترفع فى أيديها عيدان الذرة.. وكنت وقتها صبيا صغيرا.

والمرة الثـانيـة كـانت عندمـا «انكسـرت» رجـله وهو فى بلدة مجاورة لنا اسمــها «مسجد وصيف».. وكان سـعد باشا قد ذهب

إلى هذه البلدة.. وركب الحمار فوقع من فوق الحمار وانكسرت رجله.. وذهب الناس لزيارته.. وذهبت مع والدى وعمى لزيارته.. ورأيناه وقابلناه وهتفنا بحياته.

ومازلت أذكر شاعرا اسمه الهيهياوى كان حاضرا عندما ذهبنا لمقابلة سعد باشا.. ووقف هذا الشاعر يمتدح سعد باشا ويشيد بزعامته ومواقفه الوطنية.. ثم اضحكنا وأضحك الزعيم سعد باشا عندما ألقى قصيدة يتكلم فيها عن «الحمار» الذى كان يركبه سعد باشا.. ولعله قصد بذلك أن يضحك الزعيم ويدخل على قلبه السرور.

قال الشاعر الهيهياوى فى قصيدته التى أسماها «حمار الزعيم»:

حمار الزعيم . زعيم الحمير
على عرش ملك الحمير أمير
أقام الحمير له حفلة
وأهدوا له قفة من شعير
فإن يكن « للتاكسى » صفارة
فإن « النهيق » مكان الصفير

وقال الشيخ : بلدنا «دقادوس» كانت صاحبة الفضل فى علاج سعد باشا عندما وقع من فوق الحمار وانكسرت رجله.. كانت توجد فى بلدنا عائلة تخصصت فى تجبير العظام المكسورة وكانوا يسمونهم «المجبراتية».. وكانوا يفاخرون بأنهم هم الذين عالجوا سعد باشا.

ويذكر الشيخ الشعراوى أنهم فى دقادوس كانوا حريصين دائما على إحياء ذكرى سعد باشا.. وفى الذكرى العاشرة حدث شىء لا ينساه أبدا. وهذا الشىء لا يتعلق بسعد زغلول ولا بالنحاس باشا وإنما يتعلق بأمه هو أى بوالدة الشيخ الشعراوى.

وفى روايته لهذا الحدث يقول الشيخ وهو يضحك من قلبه :

كانت بلدنا قد خرجت كلها لتحضر الاحتفال.. وتكلم الخطباء الواحد بعد الآخر.. وكان لكل واحد منهم مدة محددة لا يتجاوزها.. وجاء دورى فى النهاية.. ووقفت لألقى القصيدة التى أعددتها لهذه المناسبة.. وقلت :

عشر قرن يمر يا زغلول
والمصاب الجليل فيك جليل
ما سلونا مع أن مر الليالى
يستر الخطب أشهرا فيزول
غير أن المصاب في فقد سعد
إن يطل عمره طويل طويل

كانت القصيدة طويلة إلا أنها أثارت حماس الحاضرين وأخذوا يرددون ويقولون فى عقب كل بيتين : «أعد يا شيخ.. أعد يا شيخ».. فكنت أستجيب لهم وأعيد.

وعندما انتهت الحفلة.. وذهبت فى طريقى إلى البيت ولم يكن البيت بعيدا عن مكان الاحتفال.. وجدت أمى قاعدة على الباب زعلانة!

وعندما لمحتنى قادما.. أشاحت بوجهها عنى.. فاندهشت.. ماذا جرى؟!

قلت لها بلهجتنا وكما تعودنا : سالخير.. يا أمه (أى مساء الخير يا أمى).

فلم ترد.. كانت زعلانة!

سألتها : مالك يا أمه.. حصل حاجة؟!.. إيه اللى جرى؟! فلم ترد.

وجاء والدى فى هذه اللحظة فوجدها على هذا الحال.. فسألها بدوره :

– مالك.. زعلانة ليه.. إيه اللى حصل؟..

فلم ترد عليه ..

وتصور والدى أننى أغضبتها فسألها فى انفعال :

– الولد ده.. حصل منه حاجة؟!

وردت أمى وهى تنظر إلى فى غضب واستنكار :

– إسأله إيه اللى حصل؟.

وسألنى والدى فى غضب :

– حصل إيه يا وله؟!

ولم أجد ما أقوله.. فأنا لم أفعل شيئا يغضبها!

وقالت أمى وهى مازالت غاضبة.

– الولد ده كسفنا قدام البلد كلها.. وخلى رقبتنا زى السمسمة!

وأضافت وهى ترمقنى فى غضب :

– أخص عليك!

واندهشت.. واندهش والدى أيضا.. وسألها :

– عمل إيه الوله ده؟!.. قولى.. انطقى؟!

قالت فى استنكار بالغ :

كل واحد من اللى اتكلموا فى الحفلة.. قام وقال كلمتين ونزل وقعد فى مكانه.. أما ده.. حضرة الشيخ.. فقعد كل ما يقول كلمتين.. الناس ترد عليه.. وتقول له : «أعد يا شيخ.. أعد يا شيخ»! علشان موش حافظ الكلمتين بتوعه!.. لما كسفنا قدام البلد كلها!

واشتد غضبها وهى توجه كلامها لى وتقول :

– أخص عليك!

وعادت فنظرت إلى والدى وقالت فى عتاب :

– موش تقول له.. يبقى يحفظ الكلمتين بتوعه كويس.. قبل ما يقف قدام الناس ويفضحنا!

وتركتنا ودخلت البيت.

وضحكت، وضحك والدى كثيرا.. وقال :

- أنا موش قلت لك من زمــان.. إن أمك دى أكبر واحدة مـغفلة فى البلد.

● وقال الشــيخ : إن النحاس باشا عندما ســمع بهذه الحكاية.. حكاية أمى التى غـضــبت لأنى «موش حـافظ الكلمـتين» ضـحك كثيرا.. وعندما زار بلدنا قال : عايز أشوف أم الشعراوى.

وجاءت أمى، وقـابلت النحاس باشـا الذى سألهـا عن الحكاية، فقالت وهى تضـحك : أصل أنا كنت مغفلة وموش فاهمـة حاجة.. لكن خلاص فهمت وعرفت.

وضحك النحاس باشا يومها طويلا.

وقـال الشيخ الشـعراوى: إن النـحاس باشـا كان رجـلا طيبـا ومبـروكا، وكان ســياسـيا بارعا، وإن كـان البعض من الجـهلاء يظنونه «أهبل». كـان سياسيـا قديرا، وكـان يعرف ربه، وأنا كنت أحبه وأقدره وأقبل يده تقديرا لشخصه ولمواقفه.

ويذكـر الشيخ أنه خـاض الكثيـر من معـارك الوفد، وتصــدى لخصومه، انتصارا للنحاس باشا.. بعض تلك المعارك خاضها وهو طالب فى الأزهر.. وبعضها وهو رئيس لاتحاد الطلـبة وكان وقتها واحدا من زعماء الطلبة المؤثرين فى الحركة الوطنية، وبعضـها بعد تخرجه وتوظيفه فى الأزهر.

● ويروى الشيخ الشعراوى عن آخر لقاء له مع النحاس باشا.. يقول :

كان النحاس باشا قـد مرض فى الأسكندرية.. وانطلقت إشاعة تقول إنه مـات.. وعندما عوفى من المرض ونهض قـال الوفديون : إنهم لابد أن يحتـفلوا به عند وصوله إلى القاهرة.. وأن يستـقبلوه

استقبالا حاشدا عند دخوله إلى مجلس الوزراء.

وجاءنى فؤاد سراج الدين باشا وكان وقتها وزيرا للداخلية.. وقال لى : «يا شعراوى نريد أن تكون فى استقبال النحاس باشا عند دخوله إلى مجلس الوزراء وأن تلقى كلمة».. واتفقنا على الترتيبات التى سنقوم بها وهى أن أقف فى «الفرندة» المواجهة لمدخل مجلس الوزراء فى انتظار النحاس.

وفعلا وقفت فى الفرندة.. وجاء النحاس باشا.. ونزل من السيارة.. ووجدنى أمامه.

وقلت ما جاء على لسانى لحظتها :

بسم الله نحرس هذا الرجاء
والحمد لله على نعمة هذا الشفاء
والله أكبر لطف حين قدر
وأزاح الغمام عن البدر فأسفر
فباسم الله والحمد لله والله أكبر

وقال الشيخ : ولما دخل النحاس باشا إلى مكتبه فى مجلس الوزراء قال :

– هاتوا الشعراوى.

فذهبت إليه فى مكتبه.. فاستقبلنى استقبالا طيبا.. وقال موجها حديثه إلى الحاضرين من كبار شخصيات الوفد:

– الشعراوى مسموح له بأن يدخل مكتبى فى أى وقت.. وبدون استئذان.. حتى وإن كنت فى اجتماع لمجلس الوزراء!

وقال الشيخ الشعراوى : بعد هذا اليوم. لم أر النحاس باشا! وكان ذلك آخر لقاء لى مع الرجل الطيب!

وأضاف الشيخ : إن بعض المحيطين بالنحاس باشا اتفقوا على إبعادى عن الرجل، وعملوا «رباطية» ضدى، ولم يمكنونى من

مقابلته أو اللقاء به. وعرفت بعد ذلك أنهم قالوا إن الشعراوى إذا اقترب من النحاس باشا فسوف يصبح وزيرا!

ولم يكن هذا فى بالى، فأنا كنت أحمل تقديرا للنحاس باشا كرجل طيب وزعيم تقى وورع، وقد حزنت كثيرا.. وأدركت أنهم قد نجحوا فى مؤامرتهم ضدى.. كنت كلما ذهبت للسؤال عنه يقولون : موش موجود!.

وهكذا نجحوا فى خطتهم، بل فى مؤامرتهم لابعادى عن النحاس باشا، وعن حزب الوفد.

وكان شيئا محزنا وقاسيا بالنسبة لى.

كانت مؤامرة الوفديين قبل مؤامرة المشايخ.

وجاءت مؤامرة المشايخ لتزيد من غضبى وأحزانى.

وأخذت أفكر طويلا فى موضوع السفر قبل أن أتخذ قرارى.

واستدعى ذلك مراجعة كاملة وهادئة لوقائع حياتى.

●●●

لقد تخرجت فى كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤١.

وحصلت على اجازة التدريس عام ١٩٤٣.

وتقدمت لمسابقة التعيين، وطلعت الأول فى المسابقة. وعينت مدرسا بمعهد طنطا الأزهرى.

كان مرتبى عند التعيين عشرة جنيهات.

وكنت أسكن فى بيت إيجاره ٢ جنيه.

ولم تكن الجنيهات الثمانية الباقية تكفى لسداد حاجتى أنا والأولاد.

وبعد سبع سنوات من العمل والترقيات وتعديل المرتبات وصل مرتبى إلى ١٧ جنيها.

ولذلك كانت معاناتى شديدة.

وقال الشيخ : لقد رويت لك من قبل حكاية زواجى وأنا طالب بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق. كنت فى السنة الرابعة. وكنت أسكن مع زميل لى من بلدنا اسمه حسنى إمام فى غرفة واحدة.

كنا نستأجر هذه الغرفة فى بيت واحدة اسمها أم فتحية وكان عندها بنت تلميذة اسمها صفاء.

وجاءت أم فتحية وقالت لنا إن ابنتها صفاء عندها «واجب فى الحساب» لكنها «موش عارفة تعمله».

وطلبت منا ـ أنا وزميلى ـ أن نساعدها فى عمل الواجب لأنها ضعيفة فى الحساب. ووافقنا.

وجاءت صفاء وجلست معنا فى غرفتنا، وأخذنا فى مساعدتها وعمل الواجب.

وفوجئت بوالدى يدخل علينا الغرفة ونحن نقوم بعمل الواجب لصفاء.

ونظر إلينا نحن الثلاثة.. ثم سألنى :

– مين البنت اللى قاعدة دى ؟

قلت : دى صفاء.

قال : وصفاء دى تبقى مين؟

قلت : بنت أم فتحية.

قال : وأم فتحية تطلع مين؟

قلت : صاحبة البيت.

قال : طيب.

وتركنا وانصرف.

وعاد إلى قريتنا دقادوس.

وكان قد جاء إلى الزقازيق لشراء «جمل»، وفكر فى أن يمر

علينا فى السكن ليسألنا إن كنا فى حاجة إلى شىء.. لكنه فوجىء بوجود البنت صفاء بنت أم فتحية.. ولم يعجبه هذا الأمر، ولم يسألنا كعادته إن كنا فى حاجة إلى شىء.

وفى نهاية الأسبوع، سافرت ومعى زميلى فى السكن إلى بلدنا دقادوس لنتزود كعادتنا كل أسبوع بما تيسر من الخبز والجبن والبيض والقروش القليلة.

وبمجرد أن دخلت البيت، نادى والدى على أمى وطلب خالتى وخالى، وقال لهم فى حضورى :

– الولد ده لازم يتجوز.. وبسرعة.

قلت فى دهشة : أتجوز؟! وليه يابا؟!

وردت أمى : ما دام الولد موش عايز يتجوز.. يبقى ليه تفتح عينيه على الموضوع ده؟.. أنت ناسى إنه عايش فى غربة.. ولسه صغير؟

فرد عليها : ما هو علشان كده أنا عايزه يتجوز.. علشان عايش فى غربة.. ولسه صغير.. فهمتى بقى ليه؟

وردت خالتى ومعها خالى : يعنى لازم الموضوع ده؟

فقال والدى فى إصرار :

– أيوه لازم الموضوع ده.. وأنا قلت يتجوز.. يبقى لازم يتجوز.

ووجه كلامه لى وقال :

– قدامك أسبوع.. تشوف بنات البلد.. وتختار لك واحدة.

فقلت له : مادام أنا حاتجوز غصب عنى.. يبقى جوزونى أنتم.. واختاروا اللى على كيفكم.

وفعلا، اختار لى والدى بنت خاله.

وكان اختياره طيبا.

وهكذا تزوجت وأنا طالب.

وأنجبت لى زوجتى ثلاثة أولاد وبنتين.. الأولاد هم : سامى وعبدالرحيم وأحمد.. والبنتان هما : فاطمة وصالحة.

وقال الشيخ إن المهر المقدم كان ٣٠ جنيها، والمؤخر ١٥ جنيها.

وفى تبريره لغلو هذا المهر فى ذلك الزمان الذى كان المهر فيه فى حدود خمسة جنيهات وأحيانا عشرة. قال الشيخ : أصل العروسة كانت وحيدة أبويها.. وكانوا يسمونها «الحكومة»!

ويضحك الشيخ من قلبه.

ويعود إلى سياق حديثه عن المعاناة الشديدة التى عاشها.. ويقول : لقد عانيت كثيرا.. عانيت وأنا طالب أزهرى.. وعانى معى والدى كثيرا، وتحمل كل شىء وبكل الرضا.

وحتى بعد أن تخرجت فى الأزهر وعملت مدرسا بمعهد طنطا الدينى، كانت معاناتى أشد وأقسى، لأن الأولاد كانوا قد كبروا، وزادت الأعباء.

كان لى صديق فى بلدنا دقادوس اسمه محمد حسين.. كان صاحب مطعم.. وكان يمدنى بكل ما أحتاجه من مال على سبيل الدين، وإن كان هو لا يعتبره دينا بحكم ما بيننا من صداقة وطيدة.

كنت أقترض منه شهريا بعض المال لسد احتياجاتى. وتراكم الدين حتى أصبح المبلغ ٣٥٥ جنيها، وهو مبلغ كبير بحساب ذلك الوقت.

وقد التقيت بصديقى محمد حسين وحكيت له ما جرى من ترشيحى للسفر والعمل فى مكة المكرمة. وكيف دبر المشايخ الساعون إلى المناصب هذه المؤامرة لابعادى عن الأزهر. وقلت له : ما رأيك؟

فقال :

– يا شيخ شعراوى.. مكة لا ترد!

سافر على بركة الله.. وإن لم يعجبك الحال فارجع، وتكون قد كسبت العمرة.

لقد قال نفس الكلام الذى سمعته من شيخ الأزهر.

والحقيقة أننى اقتنعت برأى صديقى محمد حسين.

واتفقت معه على أن أكتب له توكيلا بصرف مرتبى، وأن يخصم منه كل شهر بعضا من «الدين» الذى يستحقه عندى، وأن يعطى الباقى للأولاد.

●●●

ويمضى الشيخ فى روايته فيقول : ثم ذهبت وجلست مع أبى وأمى، وشرحت لهما موضوع السفر. وقلت إننى سوف أسافر وحدى. ووافق أبى على السفر وقال :

– على بركة الله.. وخذ معك أمك.

فضحكت وقلت له :

– اشمعنى أمى؟! إنت زهقت منها؟! ولاّ شايف لك شوفة.. وعايزنى أبعدها علشان توسع لك السكة!

فقال أبى : يا ابنى أمك نفسها تشوف مكة المكرمة.. وتزور قبر الحبيب المصطفى.

فقلت له : حاضر يابا.. أمى أشيلها فوق دماغى.

ويذكر الشيخ الشعراوى إن أمه رأت له «رؤيا» قبل أن يأتى موضوع السفر، وكانت هذه الرؤيا خلال الأيام التى اشتدت فيها معاناته من الضائقة المالية.

عن هذه الرؤيا يقول الشيخ : ذات ليلة جافانى النوم، وجلست مهموما أفكر.

ولاحظت أمى أننى سهران على غير العادة، وأن قلقى وهمومى قد انعكسا على وجهى، فاقتربت منى وربتت على كتفى، وقالت فى حنو بالغ :

– مالك يا ابنى؟ سهران ليه؟

فقلت لها : الهموم كتيرة يا أمه.. تعبانى.. وقلقانى والمعيشة صعبة.. والعيال عايزة مصروف.. والديون زادت.

وتأثرت أمى كثيرا بما قلت، وأخذت تربت على كتفى، وتقول فى حنان :

– يا ابنى إنت لك رب اسمه الكريم.. قوم نام واستريح.. وأنا حادعى لك.

وقمت، ونمت .

وفى الصباح جاءت أمى لتوقظنى وتقول بصوت مفعم بالفرح :

– قوم يا ابنى.. قوم.

فقلت لها : خير يا أمه؟

قالت : أنا رأيت لك فى المنام «رؤيا» حلوة.

وقلت : خير إن شاء الله.

قالت :

– رأيتك وإنت «شايل قفة مليانة فلوس»!

قلت لها وأنا أضحك :

– إيه التخريف ده.. هى الفلوس بتنشال فى قفة؟!

قالت فى غضب :

– وهى «الرؤيا» فيها كدب؟.. أيوه «قفة» ومليانة فلوس !

قلت لها وأنا أطيب خاطرها :

– طيب يا أمه.. كتر خيرك.

ويشاء الله أن تتحقق هذه الرؤيا بعد ذلك. وأن أدخل على أمى وأنا أحمل «قفة فلوس»!

كيف تحققت هذه الرؤيا؟

سؤال سوف تأتى الإجابة عليه.

والذى يهمنى أن أقوله هو أننى أخذت فى طريقى إلى مكة المكرمة للعمل هناك.

وكانت معى أمى.

الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة

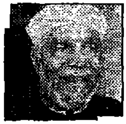


٣

أول ليلة .. فى مكة المكرمة

نزلنا فى بيت مفروش بالحصى
وسعف النخيل .. ولم أستطع النوم

- خرجنا نبحث عن عشاء .. وأكلنا « المطبق » من بائع يقف على ناصية
- يوم « سداد الدين » أقمت حفلة .. ودعوت زملائى على العشاء .. وصلينا الفجر فى الكعبة
- حلم أمى تحقق .. وعدت إليها بـ « قفة فلوس » !



أول ليلة .. فى مكة المكرمة

كيف قضى الشيخ الشعراوى ليلته الأولى فى مكة المكرمة، عندما سافر للعمل هناك كأستاذ للشريعة؟

هذا هو السؤال الذى وجهته للشيخ الشعراوى والذى ينطلق منه حديث الذكريات عن أيامه فى مكة المكرمة، تلك التى امتدت بطول ١٨ سنة. وهى عمر طويل عاشه الشيخ هناك.. عمر حافل بالعديد من الوقائع الهامة.

بذاكرته القوية، يعبر الشيخ السنين الطوال. عائدا إلى الوراء.. إلى عام ١٩٥٠.. ويتذكر، ويروى عن الليلة الأولى، وما بعدها.. يقول : سافرت للعمل فى أحب بلاد الله إلى قلوب عباده.. مكة المكرمة.. سافرت بالباخرة، وكانت معى أمى.. كنت ضمن بعثة الأزهر الشريف.. وكان ذلك سنة ١٩٥٠.. وأتذكر أننى نزلت ومعى زملائى فى البعثة فى بيت كان مخصصا لاستقبال المبعوثين بصفة مؤقتة إلى أن يتم توفير السكن لهم. وهذا البيت كانوا يسمونه «بيت برنجى» وهو اسم قبيلة من أفريقيا.

كان البيت مفروشا بالحصى وسعف النخيل، وكانت كل البيوت هناك بهذا الشكل وتلك الأيام.. كلها مفروشة بالحصى وفوق الحصى سعف النخيل.. حتى الحرم الشريف كان مفروشا هو الآخر بالحصى ومغطى بسعف النخيل.

وأحسست بعدم الراحة والضيق، ولم أستطع الجلوس. ولاحظ زميلي الشيخ أبو طالب، أطال الله في عمره، أنني ضائق وغير مستريح، فطلب مني أن أتحامل على نفسي وأنام حتى يطلع النهار ونتدبر الأمور.

فقلت له : إنني لا أنام وأنا غير مستريح. وتأثر الشيخ أبو طالب بكلماتي وخرج ليبحث لنا عن مكان مناسب.

وعاد يقول : لقد وجدت مكانا مناسبا وسوف تكون مستريحا فيه.. إنه الفندق الذي بناه طلعت حرب في «جياد».. واسمه فندق مصر.. وأخذني إلى الفندق.. ووجدت الفندق مريحا.. فانتقلنا إليه.. وتذكرنا أننا لم نأكل، وأننا في حاجة إلى طعام.. وخرجنا نبحث عن محل نشتري منه الطعام فوجدنا كل المحلات مغلقة.. كان الوقت متأخرا، والمحلات تغلق أبوابها مبكرا.. وتجولنا في الشوارع إلى أن وجدنا رجلا يقف على ناصية ويضع طعاما اسمه «المطبق» وهو عبارة عن «عجة بالبيض». وكان هذا أول طعام نأكله في مكة المكرمة.

●●●

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا إلى «إدارة المعارف» ولم تكن وزارة المعارف قد أنشئت بعد، وأعطونا ورقة بصرف مخصصاتنا، وكانت عبارة عن مرتب ثلاثة شهور مقدما وثلاثة شهور أخرى لتأثيث السكن.

وبعد أسابيع أمضيتها في الفندق، انتقلت إلى بيت قريب من الحرم الشريف.

كان البيت اسمه بيت الشاذلي.. وكان هو البيت الوحيد في الشارع الذي له «بلكونة». ولذلك كانوا يقولون لمن يسأل عني أنه يسكن في شارع كذا وفي البيت «أبو بلكونة»!

وقد أمضيت فى هذا البيت أربع سنوات، ثم انتقلت إلى بيت آخر.

وقال الشيخ : كانت السعودية فى ذلك الوقت لا تتعامل بالعملة الورقية. وإنما بالفضة والذهب، وليس بالفلوس الورق.

وكان كل مبعوث يأتى يصرف له مرتب ثلاثة شهور.. والمرتب ثلاثة أضعاف المرتب الذى يحصل عليه فى مصر.. ويضربون حاصل الجمع فى ١٤ ريالا.. ويضيفون إلى جانب ذلك مرتب ثلاثة شهور أخرى هى أجرة السكن مقدما.

كل هذا المبلغ، يحصل عليه المبعوث دفعة واحدة عند حضوره.

وعندما ذهبت لصرف هذا المبلغ من الخزينة.. فوجئت بأن المبلغ عبارة عن فلوس فضة، وأنه موضوع فى «شيكارة»، والشيكارة كبيرة وثقيلة!.. ووجدت عند الخزينة صديق مصرى اسمه الشافعى كان يعمل بالسعودية وكان يعرف كل شىء هناك. ولاحظ هذا الصديق دهشتى واستغرابى عندما سمعت موظف الخزينة يقول لى وهو يشير إلى «شيكارة الفلوس» :

– هذا هو المبلغ.. شوف لك «تكرورى».

فقلت متسائلا : تكرورى؟.. يعنى إيه تكرورى؟

ورد صديقى المصرى موضحا :

– تكرورى.. يعنى شيال.. يعنى تروح تشوف شيال علشان يشيل لك شيكارة الفلوس!

وتطوع الصديق المصرى وخرج ليأتى بالتكرورى أى الشيال من الشارع.. وعاد ومعه التكرورى وفى يده «قفة»!

وسألت صديقى المصرى : والقفة دى لازمتها إيه؟

فقال : علشان يفرغ فيها شيكارة الفلوس. ويحملها ليوصلها لك إلى المكان الذى ستذهب إليه.. وهذا هو الشىء الذى يحدث عادة.

وهذا ما حدث بالفعل.

أفرغ التكرورى شيكارة الفلوس فى القفة، وحملها على كتفه وقال لى :

– اتفضل يا شيخ.

ومشيت ومعى التكرورى إلى أن وصلت إلى باب البيت الذى أسكنه، وتناولت «القفة» منه وأعطيته أجره وشكرته.. ودخلت بالقفة إلى البيت.. وناديت على أمى، فجاءت..ووضعت القفة أمامها، وقلت :

– شايفة القفة دى يا أمه ؟

قالت :

– شايفة يا ابنى.

وسألتنى :

– القفة دى فيها إيه؟

قلت :

– فلوس !

وكشفت لها عن الفلوس وقلت :

– فاكرة يا أمه «الحلم» بتاعك.. فاكرة «الرؤيا» بتاعتك ليلة ما كنت تعبان وزهقان وبأشكى لك من المعيشة الصعبة؟!

قالت – أيوه فاكرة يا ابنى.

قلت :

– فاكرة لما قلتى بأنك رأيتينى فى «المنام» شايل «قفة فلوس»؟

قالت والابتسامة تضىء وجهها :

– فاكرة يا ابنى.

قلت :

– آدى القفة.. وآدى الفلوس!

وأخذت يدها وقبلتها.

●●●

ويمضى الشيخ فى ذكرياته يقول :

كان عملى فى مكة المكرمة فاتحة خير.. ورددت قول الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾.. فالذين رشحونى للعمل فى السعودية كان هدفهم التخلص منى وإبعادى عن الأزهر، وكنت ضائقا فى أول الأمر، ولكنى رضيت وقبلت، وشاء الله أن يكون خيرا لى.

لقد بدأت فى تسديد ديونى.

وفى اليوم الذى انتهيت فيه من سداد ديونى، اعتبرت هذا اليوم عيدا.. ولازلت أذكر أن هذا اليوم كان يوافق يوم ١٣ من شهر رجب.

وقلت لزملائى وأصدقائى : اليوم سقط آخر قرش من ديونى والحمد لله.

فقالوا فى دهشة : وكيف حسبتها؟

قلت : إننى أحسب مرتبى باليوم لكى أعرف متى أخلص من ديونى.. واليوم أكون قد خلصت من ديونى والحمد لله.. ولذلك فإننى أدعوكم لكى نتعشى معا الليلة.. وفعلا تعشينا معا.. ثم ذهبنا إلى الحرم الشريف وبقينا إلى صلاة الفجر.

●●●

● وقال الشيخ : لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجعل الفترة التى أمضيتها فى مكة المكرمة «غسول» لى مما نالنى فى مصر على يد بعض قيادات حزب الوفد الذين حالوا بينى وبين النحاس باشا ليسدوا أمامى الطريق رغم دورى السياسى معهم.

وكذلك ما نالنى على يد بعض كبار المشايخ من الأزهريين الطامعين فى المناصب الذين تآمروا ضدى لابعادى عن الأزهرى وعن الشيخ حمروش شيخ الأزهر، والتخلص منى بوضع اسمى

دون علمي ودون استشارتي ضمن قائمة المبعوثين للعمل بكلية الشريعة في مكة المكرمة.. لقد جاءني الخير كله.. جاءت دنياي في حضن ديني.. وجاء ديني في حضن دنياي.

●●●

● وقال الشيخ : ويعلم الله إنني كنت خادما لزملائي وأصدقائي في البعثة. وكان بيتي مفتوحا لهم. وكنت أحثهم دائما على الاهتمام بمظهرهم. وكنت أغسل لهم «شيلان» العمائم بيدي. والذين كانوا يصحبون معهم زوجاتهم ولا يهتمون بمظهرهم كنت «أزعل منهم» وكنت أطالب زوجاتهم بأن يهتممن بهم وبنظافة مظهرهم. وكن يستمعن لما أقوله لهن، ويأخذن الأمر ببساطة ويتقبلن كلامي.

●●●

وقال الشيخ : وقد شاء الله أن يؤلف بيني وبين علماء السعودية، وقد كنت حريصا على أن أحترم اجتهادهم. ويعلم الله أني فسرت الشدة في مواقفهم من كثير من الأشياء بأنها من باب «سد الذرائع» أمام الخروج عن الأحكام. «تلك حدود الله فلا تعتدوها» وجزاهم الله خيرا.

وشيء آخر، وهو أن أبناءهم الذين كانوا يتعلمون عندي، كانوا ينقلون لآبائهم صورة مما يسمعونه مني وما أقوله لهم.. كنت أعلمهم بإخلاص.. وكنت أقوم بتدريس التوحيد.. تدريس كتاب «الطحاوية» وهي تعتبر «عمدة» ما كتب في هذه المادة عندهم.

وهذه جعلت ما بيننا شيئا لا خلاف عليه.

وقد أديت ما يتطلبه ديني في أن أرد لهم الجميل في أبنائهم وأولادهم الذين أصبحوا من كبار رجال الدولة.

●●●

ويمضى الشيخ فى ذكرياته.. يقول :

لقد وفرت مرتبى كاملا فى السنة الأولى التى قضيتها فى مكة، واكتفيت ببدل السكن الذى أخذته عندما وصلت إلى هناك.

كان بدل السكن كافيا لتغطية مصروفاتى.

وفى نهاية السنة الدراسية عدت لأقضى الإجازة فى مصر.

عدت ومعى مرتب أربعة شهور هى مدة الإجازة، بالاضافة إلى مرتبى عن السنة التى أمضيتها هناك.. ولما وصلت إلى بلدنا دقادوس ذهبت إلى صديقى محمد حسين الذى كنت مدينا له، وشكرته كثيرا، وأعطيت ما بقى معى من فلوس لعيالى ليضع كل واحد منهم ما يخصه فى صندوق التوفير.

وفى السنة التالية توفر لى بعض المال. وعند عودتى فى الإجازة سمعت بأن صديقى محمد حسين صاحب المطعم الذى كان يمدنى بالمال أيام الشدة قد تعرض لظروف صعبة وجاءه انذار باخلاء مكان المطعم، ولم يجد أمامه سوى أن يفتتح محلا تجاريا.. فذهبت إليه وقدمت له كل ما كان قد توفر لى من مال فى هذه السنة، وقلت له : لعل الله ادخر لى هذا المال الذى أتيت به من السعودية لكى تعمل به..وفى السنة الثالثة توفر لى مبلغ ١٥٠٠ جنيه.

وفى حديث بينى وبين والدى قال لى والدى :

– يا ابنى أنا نفسى يبقى لك بيت كويس.. نفسى أبنى لك بيت فخم جدا ويكون على أحدث طراز.

فقلت له : إن كل ما أملكه فى يدى هو ١٥٠٠ جنيه.

فقال : هات المبلغ ده.. ونبدأ نشترى الأرض.

قلت : وهل هذا المبلغ يكفى لبناء بيت!

قال : أنا سألت المقاول فقال لى إنه يكفى لبناء بيت فخم، وعلى أحدث طراز!

قلت وأنا في دهشة : بيت فخم! وعلى أحدث طراز؟!

قال : أيوه.

وأعطيته المبلغ.. واشترى لى أربعة قراريط بجوار «الجبانة».

وفى اليوم التالى أحضر والدى بعض العمال وأخذوا «يفحتوا» فى الأرض ويقومون ببناء «سور البيت» قبل بناء البيت نفسه!

واندهشت أكثر عندما وجدتهم يقومون بعمل ثلاثة أبواب للسور قبل أن يوجد البيت أصلا!

سألت والدى : كيف تبنى سور البيت قبل أن تبنى البيت؟ وكيف تعمل ثلاثة أبواب للسور ونحن لم نبن البيت بعد ؟

فقال : بعد ثلاثة أسابيع سوف ترى.

وبعد الثلاثة أسابيع كان قد أنتهى من وضع الأساس وتوقف، ثم قال لى :

– خلاص.. الفلوس خلصت لغاية كده!

فجلست على الرمل وأخذت «أطبطب» بيدى على «أساس البيت» الذى لم يكن قد ارتفع عن سطح الأرض سوى مسافة قليلة، وقلت ضاحكا :

– هل هذا هو البيت الفخم الذى على أحدث طراز والذى قال لك المقاول إنه سيتكلف ١٥٠٠ جنيه ؟!

فضحك والدى طويلا وقال :

– اسمع يا ولد.. المعمار بداية.. هل سمعت عن واحد وضع أساسا لبناء بيت ثم توقف ولم يكمله؟ أبدا.. لم يحدث.. المهم هى البداية، ونحن بدأنا ووضعنا الأساس وعملنا السور لحفظ المكان.. وشوية شوية نبنى ويرتفع البناء.

قلت : ولكن الفلوس خلصت.

قال : أنا عندى «عجل» مستغنى عنه.. وعندى «جاموستين»..

سأبيع العجل والجاموستين، وبعدها يفرجها علينا ربنا.

وفعلا باع العجل والجاموستين، وأكمل بناء الأساس.. وانتهت الإجازة.. وأخذت استعد للسفر عائدا إلى مكة المكرمة.

●●●

ويضحك الشيخ من قلبه ويقول :

لكننى لا أنسى حكاية صديقى خنفس وما جرى منه فى هذه الإجازة.. وصديقى خنفس كان أحسن خياط فى بلدنا دقادوس، وأفضل من يعمل القفطان والجبة والطاقية البيضاء.

وكان يحلو له فى لحظة العتاب أن يقول لى :

- بكره أموت وتدوّر على واحد يعمل لك قفطان، ولا جبة، ولا طاقية، زى شغلى أنا.. وموش حتلاقى!

والذى حدث هو أننى عندما حضرت فى الإجازة، أتيت معى بـ «حتتين قماش» من السعودية.. قماش من الصوف الوبر، لأعمل «عباءتين».. واحدة لى وواحدة لوالدى.. وذهبت لصديقى الأسطى خنفس وأعطيته القماش. وعمل «العباءتين».. لكنى وجدت أن العباءة الخاصة بى غير مضبوطة ولم تعجبنى.. فقلت له :

- إيه ده يا عم خنفس! العباية موش مضبوطة!

فقال : وأعمل لك إيه يا خويا.. قماشك من الوبر اللى «زى الصاج» لا ينفع جلاليب ولا ينفع عبايات!

فقلت له : طيب، وفين بقية القماش اللى فاضل من العباية؟

قال : حتعمل به إيه؟ دى حاجة تعبانة زى الليفة؟

فقلت له وأنا أضحك : حاعمل منها «مركوب» ولا جزمة!

قال : يا سى الشيخ قلت لك ماتنفعش.. لا مركوب ولا جزمة.. ده أنا عملتها مقشة علشان أكنس بها الدكان!

ويضحك الشيخ من قلبه ويقول : صديقى خنفس كانت له

نوادر تفطس من الـضـحك، وكـان يحـكى لى هذه النوادر دون أن يضـحك.. كانت زوجته مريضـة بالسكر.. وكانت تذهب لعمل تحليل كل أسبوعين فى الزقازيق.

وحدث أن كانت تعبانة جدا فأعطته الأنبوبة التى بها البول لكى يذهب ويحللها ويأتى بالنتيجة.

وأخذ خنفس الأنبوبة ووضعها فى جيبه وسافر إلى الزقازيق.. وعند نزوله من الأتوبيس انكسـرت الأنبوبة واندلق البـول.. وعز عليه أن يرجع إلى البلد ويأتى بعينة من البول.. وخشى أن تغضب زوجته، فـاشترى أنبوبة وذهب إلى دورة مياه وتبـول وأخذ عينة وذهب ليحللها عند الدكتور الذى يعالج زوجته.

وبعد التحليل فوجىء بالدكتور يصرخ فى وجهه ويقول :

– الله يخرب بيتكم يا أولاد الكلب!

فسأله خنفس : فيه إيه يا دكتور؟

فقال الدكتور : أنا موش قلت لمراتك تمشى على الدواء وتحافظ على الأكل اللى حددته لها ؟

وسأله خنفس وقد أصفر وجهه :

– وحصل إيه يا دكتور ؟

فقال الدكتور : السكر تقل!.. الله يخرب بيتكم!

وفوجىء خنفس يومهـا بأنه مريض بالسكر، وأن السكر الذى عنده «تقيل» ونسبته مرتفعة جدا، ولم يكن يشكو قبلها من شىء!

وكانت صدمة كبيرة له.. وسقط بعدها مريضا.

وقـد رأيته فى «المنام» وأنـا فى السعـودية، ووجـدته مريضـا فأكلنى قلبى عليه، وعندما جئت إلى مصر بعد ذلك ذهبت لزيارته، وعرفت أن أمنية حياته هى أن يؤدى فـريضة الحج، فأخذته معى وذهبنا للحج. وكانت صحبة جميلة.

وعاش بقية حياته يحكى عن هذه الرحلة الجميلة.



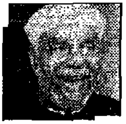
الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة

٤

الكعبة المشرفة

بين عيون الشعراوى ..
وعيون ابن بطوطة

- كيف وصفها الرحالة العرب .. قبل ٧ قرون ؟
- الرحالة الإيطالى دخل الكعبة باسم : الحاج يونس المصرى
- والرحالة السويسرى اعتنق الإسلام واختار اسم : الشيخ إبراهيم السويسرى !



الكعبـة المشـرفـة

النظر إلى الكعبة عبادة.

هكذا يقول الشيخ وهو يتذكر الكعبة المشرفة.

ويضيف : هذا حديث لرسول الله ﷺ.

وعندمـا كنا نعـمل هنـاك، وينتـهى وقت العـمل، ونعود إلى بيوتنا، كانت تأتى على خواطرنا وأذهاننا مسـيرة الأولاد. أولادنا وعـيالنا. فكنا نفكـر فيهم وفى أحـوالهم، ويذهب بنا الشوق والحنين بعيدا.

ولكى نخـرج من هذا الجـو، ونسـرى على أنفـسنا، كنا نقـول لبعضنا، أنا وزميلى الشيخ أبو طالب، فلنذهب إلى الكعبة.

وبمجـرد أن ندخل الكعـبـة ننسى كل شىء، وتمر السـاعـات، ونحن فى عالم آخر.

وأنت عندما ترى الكعبة وتنظر إليهـا، تختفى همومك ولا يبقى فى بالك إلا الله سبحانه وتعالى.

ولو جلست سـاعات أمام الكعـبة فـإن نظرك لا يتحـول عنها، ولا تستطيع أن تنزع نفسك منها مادمت جالسا أمامها.

فأنت عندما تنظر إليها لا تمل النظر أبدا، ولو كان ما تراه شيئا واحـد، أو منظرا واحدا للملتـه وزهدته، لكنك ترى أشـياء كـثيـرة. تراها فى خـاطرك، ويمـر الوقت دون أن تـدرى، لأنك فى «مملكة ثانية».

وقال الشيخ : إن المسجد الحرام الذى نراه الآن، وبعد عمليات التطوير والإعمار والتوسعة العملاقة، يختلف تماما عن الصورة التى كان عليها فيما مضى، فى الزمان البعيد والقريب أيضا.

فأنا رأيته قبل ستين سنة وكان وقتها مفروشا بالحصى ومغطى بسعف النخيل. لكنه الآن «حاجة تانية» تفوق الوصف.

لا أحد كان يتصور، فيما مضى من الزمان، أنه سيأتى يوم يستخدم فيه المصلون سلالم كهربائية متحركة للصعود إلى سطح الحرم! وهو ما يحدث الآن. ولأول مرة فى تاريخ الحرم الشريف.

لقد تغير الحرم الشريف، وصار أكثر عظمة وجلالا.

وليس الحرم الشريف فقط.

فقد تغيرت مدينة مكة المكرمة.

أنفاق فى بطون الجبل تخرج منها أفواج الزائرين القادمين إلى البيت المبارك.

وأنفاق تحت الأرض.

لقد حظيت مكة بنهضة عمرانية لا مثيل لها وبالذات فى المناطق التى تحيط بالحرم الشريف.

هناك الساحات الواسعة.

والأرض المفروشة بالرخام وكأنها قطعة واحدة من السجاد.

والناظر إلى الحرم الشريف من الخارج، تأخذه الدهشة والاحترام والاجلال.

فالمبنى غاية فى الضخامة، تعلوه تسع مآذن بنيت كلها على طراز واحد، على الرغم من بنائها فى عصور متباينة، وكان آخرها المئذنتين اللتين تعلوان التوسعة.

أما مداخله أو بواباته فهى أربعة رئيسية :

باب العمرة

وباب الملك عبدالعزيز

وباب السلام

وباب التوسعة أو باب خادم الحرمين الشريفين.

هذا بالاضافة إلى ٤٥ مدخلا عاديا منها ١٨ فى مبنى التوسعة.

فالمسجد اليوم. والمطاف ، والمسعى، يعد واحدا من أضخم المنشآت فى التاريخ الحديث، بما يضمه من تصميمات وأجهزة هى أحدث ما وصلت إليه التقنية الحديثة فى العالم.

إن كل ما نراه الآن هو شىء جديد.

الطرق والأنفاق والجسور والمستشفيات ووسائل الاتصالات والاستراحات ومدن الحجاج فى مختلف المنافذ والموانى.

وكلها مزودة بالخدمات ووسائل الاتصال التى تربط الحجاج بأهليهم وذويهم فى مختلف أنحاء العالم.

●● والذى رآه الشيخ الشعراوى فى الكعبة المشرفة، ومكة المكرمة يختلف عن الذى رآه الرحالة العرب والأوروبيون قبل مئات السنين.

فما هى صورة الكعبة المشرفة فى عيون ابن بطوطة التى رآها قبل الشيخ الشعراوى بسبعة قرون؟

وما هى صورتها فى عيون ابن جبير الذى رآها فى عصر الحروب الصليبية ؟

وفى عيون العمرى الذى رآها منذ ٦٨١ سنة، وسجل كل ما رآه فى كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار؟

وليس الرحالة العرب فقط.

فالرحالة الأوروبيون أيضا رأوا شيئا آخر لم يره الشيخ الشعراوى فى الكعبة المشرفة، ووصفوا كل ما رأوه بدقة، ولغة أدبية جميلة ومشوقة.

● بعيون هؤلاء الرحالة العرب والأوروبيين.. سنرى الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، وكيف كانت على امتداد تلك القرون، التى سبقت رحلة الشيخ الشعراوى.

● ● ونبدأ بابن بطوطة :

زار الرحالة ابن بطوطة مكة المكرمة خلال رحلته الأولى التى امتدت من سنة ١٣٢٥ إلى سنة ١٣٤٩ ميلادية.

ووصف ابن بطوطة الكعبة كما شاهدها، فقال : «والكعبة ماثلة فى وسط المسجد، وهى بنية مربعة ارتفاعها فى الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا، ومن الجهة الرابعة، التى بين الحجر الأسود والركن اليمانى تسع وعشرون ذراعا، عرض صفحتها التى من الركن العراقى إلى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبرا.

وبناؤها بالحجارة الصم السمر، وقد الصقت بأبدع الإلصاق وأحكمه وأشده. فلا تغيرها الأيام ولا تؤثر فيها الأزمان. وباب الكعبة المعظمة ارتفاعه عن الأرض أحد عشر شبرا ونصف شبرا، وطوله ثلاثة عشر شبرا، وعرض الحائط الذى ينطوى عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفائح الفضة، بديع الصنعة، وعضادتاه وعتبته العليا مصفحات بالفضة. ويفتح الباب الكريم فى كل يوم جمعة بعد الصلاة، ويفتح فى يوم مولد رسول الله ﷺ.

ومن عجائب الآيات فى الكعبة الكريمة أن بابها يفتح والحرم غاص بأمم لا يحصيها إلا الله الذى خلقهم ورزقهم، فيدخلونها أجمعين ولا تضيق عنهم. ومن عجائبها أنها لا تخلو من طائف أبدا ليلا ولا نهارا، ولم يذكر أحد أنه رآها قط دون طائف. ومن عجائبها أن حمام مكة على كثرته وسواه من الطير لا ينزل عليها ولا يعلوها فى الطيران، وتجد الحمام يطير إلى أعلى الحرم كله، فإذا الكعبة الشريفة عرج عنها إلى إحدى الجهات ولم يعلها».

● ● ووصف العمرى الكعبة التى رآها سنة ٧٣٨ هجرية - أى منذ ٦٧١ سنة ، وذلك عندما ذهب ليؤدى فريضة الحج.

وقد سجل العمرى وصفه الكعبة، كما رآها، فى كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار.

● وفى وصفه للكعبة يقول العمرى :

«فاعلم أن الكعبة، البيت الحرام، مربعة البنيان وفى وسط المسجد. ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعا، وعرض الجدار، وجهتها الآن، أربعة وعشرون ذراعا، وهو الذى فيه بابها.

وما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع، ويسمى هذا الموضع الملتزم، لأن رسول الله ﷺ، حين فرغ من طوافه التزمه ودعا فيه، ثم التفت فرأى عمر فقال : ها هنا تسكب العبرات.

وفيما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا، ويسمى ذلك الحطيم، لأنه يحطم الذنوب أى يسقطها.. وفيما بين الركن العراقى - وهو الذى فيه الحجر الأسود - إلى مصلى النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، عشرة أذرع.. وبين الركن اليمانى وبين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع. ويسمى ذلك الموضع المستجار من الذنوب. وعرض الباب خمسة أذرع، وارتفاعه سبعة أذرع.

● ● أما الرحالة الأندلسى ابن جبير.. فقد زار مكة المكرمة، وشاهد الكعبة المشرفة، خلال رحلته الطويلة التى شملت مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية فى عصر الحروب الصليبية.

ووصف ابن جبير الكعبة المشرفة كما رآها، وصفا بديعا، فقال : البيت المكرم له أربعة أركان. وهو قريب من التربيع.

وباب البيت الكريم فى الصفح الذى بين الركن العراقى وركن

الحجر الأسود، مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبرا ونصف. وهو من فضة مذهبة، بديع الصنعة، رائق الصفة، يستوقف الأبصار حسنا وخشوعا للمهابة التى كساها الله بيته. وعضادتاه كذلك، والعتبة العليا كذلك أيضا. وعلى رأسها لوح ذهب خالص إبريز فى سعته مقدار شبرين. وللباب نقارتا فضة كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب، وهو ناظر للشرق، وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبرا. وغلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار.

وداخل البيت الكريم مفروش بالرخام المجزع .

ودائر البيت كله من نصفه الأعلى مطلى بالفضة المذهبة المستحسنة، يخيل للناظر إليها أنها صفيحة ذهب لغلظها. وهى تحف بالجوانب الأربعة وتمسك مقدار نصف الجدار الأعلى.

وسقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون. وظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب مكسو بستور من الحرير الأخضر.

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنه الرخام حسنا، منها سود وسمر وبيض قد الصق بعضها إلى بعض، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا إلا فى الجهة التى تقابل المقام، فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به. وسائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض، وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة، وبين الركن العراقى وبين أول جدار الحجر مدخل إلى الحجر سعته أربع خطا وهى ست أذرع .

وقبة بئر زمزم تقابل الركن، ومنها إليه أربع وعشرون خطوة. والمقام المذكور الذى يصلى خلفه عن يمين القبة، ومن ركنها إليه عشر خطا. وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع البياض. وتنور البئر المباركة فى وسطها مائل عن الوسط إلى جهة الجدار الذى يقابل البيت المكرم، وعمقها إحدى عشرة قامة حسبما

ذرعناه. وعمق الماء سبع قامات على ما يذكر.

والحجر الأسود المبارك ملصق فى الركن الناظر إلى جهة المشرق، وللحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم حتى يود اللاثم أن يقلع فمه عنه، وذلك خاصة من خواص العناية الإلهية. وكفى أن النبى، صلى الله عليه وسلم، قال : «إنه يمين الله فى أرضه». نفعنا الله باستلامه ومصافحته.

●● ومن الرحالة الأوروبيين الذين وصفوا الكعبة المشرفة، كان الإيطالى دى فارتيما الذى تولى تمويل رحلته ملك البرتغال.

لم يدخل الرحالة الإيطالى إلى مكة المكرمة باسمه الحقيقى، وإنما باسم آخر مستعار، هو الحاج يونس المصرى!

كان ذلك فى سنة ١٥٠٩، أى منذ ٤٨٩ سنة!

وصف الرحالة الإيطالى مكة المكرمة بأنها «مدينة رائعة الجمال» و «المدينة ذات الشرف الباهر»، وإنها تزدهر من تجارة الجواهر والبهارات الآتية من الهند الكبرى، بالاضافة إلى المنسوجات القطنية والحريرية، والشموع والعطور.

ويتوقف الرحالة الإيطالى. طويلا عند وصف الكعبة المشرفة.. التى رآها من الداخل أيضا، فيقول : دعونا الآن نعد إلى الغفران الذى يبتغيه الحجاج القادمون إلى مكة المكرمة، ففى وسط مكة، يوجد معبد «مسجد» جميل جدا، يشبه الكولوزيوم فى روما.. إلا أنه غير مبنى بالحجارة الضخمة، وإنما من الطوب الأحمر، وله تسعون بابا، ذوات أقواس (عقود) وعند دخولنا هذا المعبد، انحدرنا عشر أو اثنتى عشرة درجة، وحول هذا المدخل، كان يجلس بعض باعة الجواهر، وعندما تنزل الدرجات المذكورة تجد كل أنحاء هذا المعبد، وكل جدرانه مغطاه بالذهب، وتحت أقواس المعبد، يجلس نحو خمسة آلاف من الرجال والنساء، يبيعون

مختلف أنواع المواد العطرية، معظمها مساحيق لحفظ نضارة الأبدان، لأن المسلمين يأتون إلى هنا، من كل بقاع العالم، والحق أقول إنه من الصعب أن أصف لكم روعة الروائح التى يتضوع بها هذا المعبد، روائح مشبعة بالمسك زاخرة بأقوى العطور انعاشا .

● ● أما الرحالة السويسرى جون بوركهارت الذى أشهر إسلامه، واشتهر باسم الشيخ إبراهيم السويسرى، وأدى فريضة الحج سنة ١٨١٥، فقد وصف الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، وقال: تتوسط الكعبة ساحة المسجد، مرتفعة نحو خمس عشرة ذراعا.

وعقب أن نلج باب الكعبة، إلى اليسار قليلا، جزء مستطيل منخفض عن الأرض يسمى «المعجن» وهو المكان الذى كان يعد فيه إسماعيل ـ المونة» التى استخدمها إبراهيم فى بناء الكعبة.. وبداخلها أعمدة من الخشب الثمين ومقاصير ومحراب النبى، السقف والجدران مكسوة بالحرير الفاخر، المطرز بالذهب، دوائر ومربعات، عليها اسم الجلالة، ويحيطه من الداخل إزار من الرخام المجزع الثمين، بارتفاع نحو ثلاث أذرع، وعلى الجانب الغربى، لوحات تذكارية منقوشة تخلد ذكرى من قاموا بتجديد الكعبة، من السلاطين والأمراء، ويتدلى من السقف، فى مشهد يبهر الأنظار، الكثير من الذخائر والنفائس المهداة إلى الكعبة، من بينها العشرات من القناديل الفضية والذهبية المرصعة بالجواهر الثمينة!.

وفى مشهد رائع، مجموعات هائلة من الحمام، تملأ سطح وصحن المسجد، وعلى النوافذ والطاقات، تلتقط حبوب القمح فى أمن وسلام.. البناء الجميل المحيط ببئر «زمزم» الشهير، شيد عام ١٠٧٢هـ، والمسافة بينه وبين الكعبة نحو ٤٠ ذراعا، وبعض الحجيج يغتسلون بمائها معتقدين أن قلوبهم قد طهرت ببركة ماء زمزم!

الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة



٥

قصة بناء الكعبة

ولغز الحجر الأسود

- حكايات المؤرخين الأقدمين وماذا تقول عن بناء الكعبة ؟
- الشيخ الشعراوى .. وكيف يفسر الآيات التى تتكلم عن الكعبة ؟
- مقدمات بناء الكعبة .. ورحلة إبراهيم الخليل



قصة بناء الكعبة

كثيرة هى الروايات التى تحكى عن بناء الكعبة المشرفة ، وعن تاريخ البناء .

وكثير من هذه الروايات ورد فى كتب المؤرخين والمفسرين الأقدمين .

وتختلف الروايات باختلاف التفاسير لما أورده القرآن الكريم .

بعض الروايات تربط تاريخ البناء بقيام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة بعد نزوحهما من فلسطين إلى بلاد الحجاز ، بأمر من الله سبحانه وتعالى ، حسبما أشار القرآن الكريم .

وهناك روايات أخرى تجعل لتاريخ بناء الكعبة أصولا وجذورا تمتد إلى ما قبل عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، استنادا إلى ما أورده القرآن الكريم أيضا .

والشيخ الشعراوى له رأى فى هذا الموضوع .. وهذا الرأى يقوم على تفسيره لما أورده القرآن الكريم .

يقول الشيخ : تأمل ما يقوله الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ (سورة آل عمران)

هذا هو تاريخ التكوين .

البـيت وضع للناس ابتـداء من آدم عليـه السلام إلى أن تقـوم الساعة .

ومادام قد وُضِعَ للناس ، فلابد أن يكون قد وجد قبل أن يوجد الناس .

ولابد أن يكون واضع هذا البيت هو الله سبحـانه وتعالى ، فهو الذى أقامه ، وهو الذى حدد مكانه .

وهو قد وضع ساعة خلق الكون .

لقد شاءت إرادته سبحانه وتعالى حين خلق الكون أن يجعل له بيتا ليحج إليه آدم وذريته ، وقد حج آدم إليه .

وقـال الشـيخ : بعـض الناس يربطون البـيت بإبـراهيم عليـه السلام ، وإنه أقامه بتكليف من الله . ونقول لهـذا البعض : افهموا جـيـدا قـول الحق : البـيت « وضع للناس » فـكأنه من بداية آدم والبيت موجود .

وقـد جـاء الظن بأن إبراهيم هو الذى بنى الكعـبـة من الفـهم القـاصر لقـول الحق : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القـواعد من البـيت وإسماعيل** ﴾ (سورة البقرة)

لقد أمـر الله إبراهيم عليه السـلام أن يأخذ امرأتـه هاجر وابنه الرضيع إسمـاعيل إلى الوادى الذى ليس فيه زرع وليس فـيه ماء عند البيت الحرام ، وقـد تركها إبراهيم قائلا فـيما رواه الحق فى قرآنه :

﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غيـر ذى زرع عند بيتك المحرم** ﴾ (سورة إبراهيم)

كان هناك إذن البيت الحرام .

وقد حدد الحق المكان لإبراهيم بقوله سبحانه :

﴿ **وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ (سورة الحج)

ومعنى « بوأنا » أننا « بيَّنَّا » لإبراهيم مكان البيت وحددناه له .

وعن هذا البيت يقول الله تبارك تعالى حاكيا دعاء إبراهيم :

﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴾ (سورة إبراهيم)

أخذ إبراهيم زوجته هاجر وابنهما إسماعيل ، وكان طفلا رضيعا ، وتركهما عند البيت الحرام المحدد من الله سبحانه وتعالى منذ خلق الكون .

إذن ما هو دور إبراهيم .. وماذا فعل ؟

الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يرفع القواعد من البيت . أى يقيم بناء مرتفعا على الأرض ليدل الناس على مكان البيت ، ليعرف الناس أن هذا بيت الله الحرام ، وهذا مكانه .

وقال الشيخ :

لقد حدد الحق المكان بقوله سبحانه :

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ .

فالمكان موجود .

وقواعد البيت موجودة .

ولم يبق إلاّ أن يرفع إبراهيم هذه القواعد . أى يقيم الحوائط والجدران .

● والسؤال : هل كان البيت الحرام على هذه الحال ، أى فى واد غير ذى زرع ، لا توجد به حياة أو بشر منذ عهد آدم ؟

قال الشيخ الشعراوى : كانت حول البيت حياة وبشر ، ولكن كعهد الناس إذا طال عليهم الوقت نسوا وبدأوا يتركون عبادة الله ، وتهدم البيت مع الزمن فلم يعتنوا برفع قواعده ، فتركوها حتى طمرت ، ويبدو أنه قد حدثت أشياء دفعت بسكان هذه المنطقة إلى الهجرة ، حتى خلا المكان ولم تصبح به أى صور للحياة .. حتى

شاء الحق إحياء العبادة والحج إلى بيته الحرام ، فأمر نبيه ورسوله إبراهيم أن يذهب إلى مكان البيت الحرام ، ودله الحق عليه وأمره أن يطهره ويرفع قواعده مستعينا بابنه إسماعيل .. يقول الحق :

﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ (البقرة ١٢٥)

انتهى كلام الشيخ .

●●●

وتذكر بعض التفاسير أن الله سبحانه وتعالى هو الذى حدّد لإبراهيم ، موضع ومكان البيت المقدس ، الذى كان قد طَمَرَهُ الطوفان فى أيام نوح عليه السلام .. وهذا معناه أن مكان البيت المقدس ، مكان ثابت قائم ، قبل إبراهيم . بمئات أو آلاف السنين ، فى علم الله ، وإنه سبحانه وَضَعَهُ فى الأرض للعالمين جميعا ، لعبادته ، والطواف حوله منذ الأزل وإلى الأبد ، حيث تدوى آفاق الأرض والسماوات كل لحظة مع جميع الكائنات : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك .. لبيك اللهم لبيك .. وصدق الله العظيم حين يقول : **﴿ وإنْ من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾** (سورة الإسراء) .

مقدمات بناء الكعبة

● ونأتى لقصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، ومقدمات بناء الكعبة .

يذكر الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه الكعبة عبر العصور : أن إبراهيم نشأ فى بلاد العراق ، وكان أبوه نجارا تخصص فى صناعة الأصنام التى كان يعبدها مواطنوه ، وكان اشتراك إبراهيم مع أبيه فى تشكيل الأوثان دافعا على العزوف عن

عبادتها ، حتى إذا أصبح شابا ، تسلل إلى المعبد وحطم الأصنام عدا كبيرها ، وسأله مواطنوه ﴿ **أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ .

وعاقب الوثنيون إبراهيم على تحطيمه أوثانهم بأن ألقوه فى النار ، ولكن الله عز وجل جعلها بردا وسلاما ، وخرج إبراهيم إلى فلسطين ناجيا بنفسه وبزوجه سارة .

ثم رحل إبراهيم إلى مصر حيث كان يحكمها ملوك الهكسوس ، وكان أحد ملوكهم ينتزع الزوجات الجميلات بعد أن يقتل أزواجهن . وأعلن إبراهيم بين الناس أن سارة أخته حتى ينجو من القتل ، وانتزع الملك سارة من إبراهيم ، ولكن العناية الإلهية كانت تحيط بإبراهيم ، فرأى الملك فى نومه أن سارة ما هى إلا زوجة إبراهيم ، فندم وأعادها إلى زوجها ، ومنحه كثيرا من الهدايا ومن بينها جارية تدعى هاجر .

وكانت سارة لم تنجب لإبراهيم ، ودفعتها عاطفة الأمومة إلى أن تطلب من إبراهيم الدخول بهاجر حتى تنجب له غلاما يقر الله به عيونهما فأنجب إبراهيم من هاجر ولدا أسموه إسماعيل . وبعد فترة أنجبت سارة ابنها إسحاق .

وتساوى عطف إبراهيم على ولديه ، إسماعيل وإسحاق ، ولكن سارة غضبت من أن يساوى زوجها بين ابن جاريتها وابنها، وهى الحرة . وأصرّت سارة على أن يخرج إبراهيم بهاجر وإسماعيل بعيدا عنها . فخرج بهما من فلسطين إلى الحجاز ، وانتهى إلى الوادى الذى قامت فيه مكة فيما بعد . وكان واديا قفرا غير ذى زرع ، تتخذه بعض القوافل محطة تستريح فيه خلال رحلاتها التجارية . وفى ذلك يقول الطبرى : « وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتى مكة وليس يومئذ بمكة بيت » . وترك إبراهيم ابنه إسماعيل

وأمه هاجر ، بعد أن ترك لهما اليسير من الطعام والماء ، وعاد إلى فلسطين حيث ترك سارة وإسحاق .

تحدث المؤرخ المسعودى فى كتابه مروج الذهب عن المكان الذى نزل فيه إبراهيم وهاجر وإسماعيل ، فقال : « ولما أسكن إبراهيم ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر ، واستودعهما خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذى زرع ، وكان موضع البيت ربوة حمراء ، أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشا يكون لها مسكنا » .

وفرغ الطعام والماء ، وتعالت صيحات الطفل ، وخشيت هاجر على ابنها من الموت عطشا وجوعا ، وغادرت مكانها لتبحث عن الماء ، مما يدفع عنهما الهلاك . وأخذت تهرول بين الصفا والمروة ، حتى إذا أتمت السعى سبع مرات ، عادت إلى إسماعيل ، فإذا به يفحص الأرض بقدمه ، حيث نبع الماء من الأرض ، وظهرت بئر زمزم ، وكتب الله لإسماعيل وأمه النجاة .

● ويروى الطبرى أن الله عز وجل أنزل جبريل ففجر هذه البئر، وقد بشر جبريل هاجر بعودة إبراهيم فى يوم ما وبنائه الكعبة ، قال الطبرى : « وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد، فإنها عين لشرب ضيفان الله ، إن أبا هذا الغلام سيجىء فيبنيان لله بيتا هذا موضعه » .

وصادف أن مرت قبيلة جرهم بهذا المكان ، فشاهدت طيورا تحلق فى السماء ، فأدركوا أن هناك ماء ، وعجبوا من ذلك ، فقد كانوا يمرون بالمكان فيجدونه قفرا جدبا ، وعثرت جرهم على هاجر وابنها ، واستأذنوا منها فى الإقامة إلى جانب هذا البئر ، فأذنت لهم . وشب إسماعيل فى قبيلة جرهم ، وتعلم منهم اللغة العربية .

●●●

وتمر السنون .

وتموت هاجر وهى فى التسعين من عمرها، ويصبح إسماعيل شابا ، ويتزوج إحدى فتيات قبيلة جرهم ، وتدعى الجداء بنت سعد . وفي يوم اشتاق إبراهيم لرؤية ابنه إسماعيل ، فاستأذن من زوجته سارة في الرحيل ، فأذنت له . وقصد إبراهيم إلى دار إسماعيل ، وكان حينئذ غائبا فى رحلة صيد ، وطرق إبراهيم الباب ، فخرجت له الجداء ، فقال لها إبراهيم : أين صاحبك ؟ قالت: ليس هاهنا ، ذهب يتصيد . فقال إبراهيم : هل عندك ضيافة ، هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندى ، وما عندى أحد . فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئية السلام وقولى له فليغير عتبة بابه . وعاد إسماعيل من رحلته ، وعلم بالقصة ، فطلق زوجته ، وتزوج من فتاة جرهمية أخرى تدعى سامة بنت مهلهل .

ودفع الشوق إبراهيم إلى القدوم مرة أخرى إلى مكة ليرى ابنه إسماعيل ، وأذنت له سارة بذلك واشترطت عليه ألا ينزل عن جواده « فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله . قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم . قال : هل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر ؟ فجاءت باللبن واللحم . فدعا لهما بالبركة » .

ويروى المسعودى رواية عن تبشير إبراهيم ببناء الكعبة ، يقول: « وألحت الجرهمية على إبراهيم فى النزول ، فأبى ، فقدمت إليه لبنا وشرائح من لحم الصيد ، فدعا فيه بالبركة ، وجاءته بحجر كان فى البيت ، فمال عن ركابه ، وجعلته تحت قدمه اليمنى، ثم رجلت شعره ودهنته ، ثم حولت الحجر إلى شماله ،

فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ، ومال برأسه نحوها ، فرجلته ودهنته ، فأثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال ، فلمارأت الجرهمية ذلك أكبرت ما شاهدته ، وهذا الحجر هو مقام إبراهيم ، فقال لها إبراهيم : ارفعيه فسيكون له شأن ونبأ بعد حين . ثم قال لها : إذا جاءك إسماعيل فقولى له : إن إبراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك : احتفظ بعتبة بيتك ، فنعم العتبة هى ، وسار إبراهيم راجعا نحو الشام » .

فلما جاء إسماعيل سألها : هل أتاكم أحد ؟

قالت : نعم .. أتانا شيخ وقور ، عليه هيبة وجلال ، فسألنى عنك فأخبرته ، فسألنى عن عيشنا فأخبرته أننا بخير .

قال إسماعيل : وهل أوصاك بشىء ؟

قالت : نعم ، هو يقرئك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

قال إسماعيل : ذاك أبى .. وأنت العتبة .. أمرنى أن أحتفظ بك.

● وتطورت مكة ، وزاد عدد سكانها ، فقد علمت بطون جرهم والعماليق بحلول الماء والخصب فى مكة ، فأقبلوا على النزول بها، وأصبح الحارث ابن مضاض بن عمرو الجرهمى زعيم أهل مكة .

●●●

وتمضى القصة تقول :

قدم إبراهيم مرة أخرى إلى مكة ، وكان إسماعيل حينئذ فى الثلاثين من عمره ، وفى هذه المرة أمر الله عز وجل إبراهيم ببناء الكعبة ، وتعاون الأب والابن على تنفيذ أمر المولى سبحانه وتعالى.

ويذكر المؤرخون كثيرا من الروايات حول بناء الكعبة . ومن أدق هذه الروايات وأوجزها ، ما رواه الطبرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « جاء إبراهيم فوجد إسماعيل يصلح نبلا له من

وراء زمزم . فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن ربك قد أمرنى أن ابنى له بيتا . فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك . فقال إبراهيم : قد أمرك أن تعيننى عليه . قال : إذن أفعل . فقام معه ، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ ، فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة ، قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذى أمره الله عز وجل ببنائه أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج فقال له : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾ .

● وتتعدد الروايات حول من دل إبراهيم إلى المكان الذى أقام فيه الكعبة.

ويروى الطبرى عن ابن إسحاق أن جبريل صحب إبراهيم من الشام إلى الحجاز ليدله على مكة التى ستقام فيها الكعبة ، وأسند هذه الرواية إلى ابن إسحاق فقال : « عن مجاهد وغيره من أهل العلم ، أن الله عز وجل لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم ، خرج وخرج معه جبرائيل ، يقال كان لا يمر بقرية إلا قال: بهذه أمرت يا جبرائيل ؟

فيقول جبرائيل : أمضى . حتى قدم به مكة ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدورة . فقال إبراهيم لجبرائيل : أهاهنا أمرت أن أضعه ؟ قال : نعم .

وروى العمرى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة أنه قال : « ذكر لنا أن قواعد البيت من حراء ، وذكر لنا أن البيت من خمسة أجبل : حراء ولبنان والجودى وطورسينا وطور زيتا » . كما روى العمرى أيضا عن السهيل : « أن الملائكة كانت تأتى إبراهيم عليه السلام بالحجارة » .

مضى إبراهيم وإسماعيل فى بناء الكعبة كما أمرهما الله عز وجل ، وأوشك البناء أن ينتهى ، وبقى حجر واحد « فذهب الغلام يبنى شيئا ، فقال إبراهيم : لا ، ابغ حجرا كما آمرك ! فانطلق الغلام يلتمس له حجرا ، فأتاه به ، فوجده قد ركب الحجر الأسود فى مكانه فقال : يا أبت من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتانى به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرائيل من السماء » .

●●●

والحجر الأسود حجر صقيل بيضى ، غير منتظم ، ولونه أسود يميل إلى الاحمرار ، وفيه نقط حمراء ، وتعاريج صفراء .

وفى حديثه عن الحجر الأسود يقول الدكتور عبدالكريم محمود : ما هو هذا الحجر ؟ إنه لغز هو الآخر ، ويرحم الله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ويرضى عنه ، حين تراجع ذات مرة ، وتوقف قليلا وهو يطوف حول الكعبة من بداية الطواف عند الحجر الأسود ثم مضى وهو يقول : « والله إنى لأعلم أنك حجر ، لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنّى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .. » . ثم قبله ومضى فى طوافه ! ما أحكمك يا عمر !

نتساءل عن هذا اللغز : الحجر الأسود .. ما هو ؟

تقول المرويات إن هذا الحجر ، لم يكن هو الحجر الوحيد فى هذا البيت المقدس ، فقد كان به مئات الأحجار والتماثيل ، التى دعا الله الخليل إبراهيم ، إلى تطهير البيت من أرجاسها ، كما يقول النص القرآنى الكريم .. لكن لماذا هذا الحجر بالذات ، هو الذى كان، وسيظل موضع الإكبار ، فيوضع أساسا من أسس الكعبة المقدسة ، ويطاف حولها من ركنه ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

تجيب بعض الروايات التاريخية ، إنه ليس ببعيد أن يكون الركن والمصلى ، قطعتين من تلك الأحجار البركانية التى ظنها

الكثير من الناس ، أنها أجسام نيازك سماوية سقطت من السماء، وتجيب بعض الروايات ، إن الركن والمقام (المصلى) هما في الأصل « ياقوتتان من يواقيت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما ، لأضاءت إشعاعاتهما ما بين المشرق والمغرب ، من أرض الله وسماواته » .

وهناك رواية تروى عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : « ليس فى الأرض شىء من الجنة إلا الركن الأسود ، والمقام ، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ، ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله فى الحال .. » بل إن هناك حديثا منقولا ينسب إلى النبى ﷺ ، قال فيه لعائشة وهى تطوف معه : «لولا ما طبع على هذا الحجر ، يا عائشة ، من أرجاس الجاهلية ، وأنجاسها ، إذن لاستشفى به من كل عاهة وكل داء ، وإنه لياقوتة من يواقيت الجنة ، ولكن الله غيره بمعصية العاصين ، وستر زينته عن الظلمة والآثمين ، لأنهم لا ينبغى لهم ألا ينظروا إلى شىء ، كان بدؤه من الجنة » .

●●●

وبعد الفراغ من بناء الكعبة ، أمر الله عز وجل إبراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج ، كما جاء فى الآية الكريمة : ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾.

وبعد بناء الكعبة عاد إبراهيم إلى بلاد الشام ، وترك وراءه ابنه إسماعيل وقد أصبح رجلا ، وخليفة أبيه فى أمانته وملته الحنيفية.

ثم كان تطور مدينة مكة .



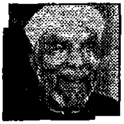
الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

٦

كسوة الكعبة المشرفة

متى بدأت .. وكيف استمرت عبر العصور؟

- الشعراوى : الكسوة حملت اسم مصر ٧٠٠ سنة .. وتوقفت أيام عبد الناصر
- ابن بطوطة وابن جبير : تعلقنا بأستار الكعبة .. وطلبنا المغفرة
- ومجنون ليلى تعلق بأستار الكعبة وقال : « اللهم زدنى من حب ليلى » !
- ولقمان قال : يارب اعطنى عمر سبعة نسور !



كسوة الكعبة المشرفة

ويأتى الحديث عن كسوة الكعبة المشرفة .. وحكاياتها الطويلة ، التى أفاض فيها المؤرخون .. متى بدأت كسوة الكعبة لأول مرة ؟ وكيف استمرت عبر العصور ؟

● لكننا نسأل الشيخ الشعراوى عن كسوة الكعبة التى كانت تحمل اسم مصر ؟

ويرد الشيخ : على امتداد سبعة قرون ظلت كسوة الكعبة المشرفة تحمل اسم مصر ، وجاء عبدالناصر فحرم مصر من هذا الشرف الكبير .

فقد توقف المحمل الذى كان يحمل الهدايا إلى الكعبة المشرفة .

وتوقفت الكسوة أيضا .

كانت آخر مرة تذهب فيها الكسوة من مصر سنة ٦١ ، وبعدها أصبحت ذكرى وتاريخا مضى .

ويضيف الشيخ :

كنا نقول دائما أن مصر محظوظة .

محظوظة لأن اسمها ورد فى القرآن الكريم خمس مرات .

ومحظوظة لأن اسمها مكتوب على كسوة الكعبة المشرفة ، وهى البلد الوحيد فى العالم الإسلامى الذى كان له هذا الشرف ، لكن عبدالناصر حرمها من هذا الشرف .

وهذا ما يثير الحزن والأسى .

وقال الشيخ : كانت فى مصر أوقاف خاصة بالحجيج .. كان بعض المصريين من أهل الخير « يوقفون » أراضيهم على الحرم الشريف .

وكانت مصر تدير هذه الأراضى ، وتجمع حصيلة إيراداتها وترسلها إلى هناك لإنفاقها على الحرم الشريف .

كانت تضع هذه الإيرادات فى « صرة » وترسلها كل عام مع المحمل إلى مكة المكرمة .

وكان المحمل يأخذ معه كسوة الكعبة أيضا التى صنعت فى مصر ، ويخرج فى احتفال مهيب إلى مكة المكرمة .

وكان هذا الاحتفال يسمى « طلعة المحمل » .

وكانت « كسوة الكعبة » يحملها عدد من الجمال .

وكان يوم خروجها من المواسم الدينية الجميلة التى يسعد بها الناس فى مصر .

كان أهالى القرى فى طول مصر وعرضها يأتون إلى القاهرة ، ويتزاحمون فى الشوارع التى يمر بها المحمل وهو فى طريقه إلى مكة المكرمة ، حاملا معه « الصرة » . وكسوة الكعبة المشرفة .

كان شيئا جميلا .

لكن هذا الشىء الجميل توقف ، كما قلت فى أيام عبدالناصر .

وقبل التوقف لم يكن هناك اهتمام بالصنعة ، فكانوا يشترون الصبغة « الفالصو » غير الثابتة ، ولذلك كانت الكسوة « تبهت » ويتغير لونها وتصبح سيئة المنظر .

وكنا نلاحظ ذلك بأنفسنا أيام كنا نعمل هناك ، وكان ذلك مثار سخرية وانتقاد الكثيرين ، وكنا نغضب ونذهب للسفير المصرى ونطلب منه أن يتدخل وأن يوضح هذه الأمور لحكومة الثورة فى مصر .

لكن الأمور تطورت بعد ذلك على نحو آخر .

ووقع الخلاف .

وتوقف المحمل .

وتوقفت الكسوة .

ولم تعد تذهب « لا بيضة ولا خضرة » !

●●●

وكسوة الكعبة المشرفة التى كانت تخرج من مصر ، والتى أثارت شجون الشيخ الشعراوى كانت تصنع فى دار فى مصر تسمى « دار كسوة الكعبة المشرفة » وكانت هذه الدار فى حى الخرنفش بالقاهرة .

وكان من تقاليد العمال الذين يقومون بالعمل فى دار كسوة الكعبة المشرفة ألا يقوموا بالعمل فيها إلا إذا كانوا جميعا فى تمام الوضوء .. وكانوا يبدأون عملهم اليومى بالوقوف وترديد فاتحة القرآن الكريم بصوت جماعى جهورى يتردد صداه فى أرجاء شارع الخرنفش .. ثم يطلقون البخور من حولهم .. وبعد ذلك يرددون الآية الكريمة التى تقول : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

وقبل إنشاء دار كسوة الكعبة الشريفة بالخرنفش كانت كسوة الكعبة تصنع فى أماكن عديدة مثل دمياط وفى القلعة ودور الأمراء والإسكندرية وأيضا فى مشهد الإمام الحسين .

وقبل أن تتوقف كسوة الكعبة المشرفة التى كانت تخرج من مصر ، كانت السعودية قد أنشأت دارا لكسوة الكعبة المشرفة تحسبا لأى طارىء .

ففى سنة ١٣٤٦ هجرية ، أى منذ ٧٣ سنة ، أصدر الملك عبد العزيز آل سعود أوامره بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة

المشرفة ، وافتتح الدار فى فى منتصف العام نفسه ، وتم إنتاج أول كسوة للكعبة المشرفة فى أم القرى .

واستمر المصنع حتى عام ١٣٥٧ هـ وبعد ذلك توقف .

ولكن فى عام ١٣٨٢ هـ أصدر الملك فيصل أمرا بتجديد المصنع ، وفى عام ١٣٩٧ هـ تم افتتاح المبنى الجديد بأم الجود. وقد بدأ العمل فى المصنع بستة عشر عاملا وأخذ العدد فى التزايد حتى أصبح الآن مائتين وأربعين عاملا من الكوادر السعودية المؤهلة فنيا وإداريا ويتكون المصنع من ستة أقسام .. الحزام والنسيج اليدوى والصباغة ، وقسم النسيج الآلى والطباعة وقسم الستارة الداخلية .

ويصنع ثوب الكعبة المشرفة من الحرير الخالص الذى يستورد خاما من الخارج وتتم صباغته بالمصنع ويستهلك الثوب الواحد للكعبة المشرفة ستمائة وسبعين كيلوجراما من الحرير .

ويقوم المصنع بإنتاج ثوب الكعبة الخارجى وعمل الستارة الداخلية للكعبة المشرفة وعمل ثوب كامل احتياطى للكعبة المشرفة بالإضافة إلى إنتاج القطع الخاصة بالهدايا .

وتقوم وزارة الحج والأوقاف فى موسم كل حج بإجراء احتفال سنوى تقوم فيه بتسليم كسوة الكعبة المشرفة إلى كبير سدنة بيت الله الحرام ويقوم بتسليم الكسوة وزير الحج والأوقاف ويحضر الاحتفال عدد من المسئولين بالوزارة والدوائر والمصالح الحكومية بالعاصمة المقدسة .

وتنسج الكسوة من الحرير الطبيعى الخاص المصبوغ باللون الأسود وتنقش عليها بطريقة الجاكار عدد من العبارات والآيات القرآنية الكريمة .

●●●

● والكلام عن كسوة الكعبة المشرفة يعيد إلى الأذهان تاريخا طويلا عن بداية كسوة الكعبة ومتى كانت هذه البداية ؟

يذكر المؤرخون أن أول من كسا الكعبة هو الملك العربى اليمنى الحميرى واسمه تبع أبو كرب أسعد . ويروى العمرى صاحب كتاب مسالك الأبصار أن الملك تبع رأى فى نومه أنه يكسو الكعبة، ولذلك حقق رؤياه حين مر بمكة راجعا من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة ، فقد كسا الكعبة وجعل لها بابا ومفتاحا .

وتبعه خلفاؤه ، فكانوا يكسونها بالجلد والقباطى (وهو قماش مصرى) زمنا طويلا ، ثم أخذ الناس يقدمون إليها هدايا من الكساوى المختلفة ، فيلبسونها على بعضها ، فكان إذا بلى ثوب وضع عليه ثوب آخر ، حتى جاء قصى بن كلاب فوضع على القبائل مبلغا من المال لكسوتها سنويا ، واستمر أبناؤه بعده على هذا التقليد . وكان أبو ربيعة بن المغيرة قبل الإسلام يكسوها سنة ، وقبائل قريش تكسوها أخرى ، فسمى بذلك العدل ، لعدله بين قبائل قريش فى كسوة الكعبة .

وروى العمرى أن خالد بن جعفر بن كلاب كان أول من كسا الكعبة بالديباج . وممن كسوها بالديباج أيضا نتيلة بنت جناب ، أم العباس بن عبد المطلب ، وكان العباس قد ضل الطريق وهو صغير، فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو الكعبة بالديباج .

كسوة الرسول والخلفاء

ويروى ابن هشام أن الكعبة فى عهد الرسول ﷺ كانت تكسى بالقباطى ، وهى ثياب بيض كانت تصنع فى مصر ، ثم كسيت بالبرود وهى ضرب من ثياب اليمن .

ثم قام بكسوة الكعبة كل من عمر بن الخطاب ، وعثمان بن

عفان وعبد الله بن الزبير .. وكساها معاوية بن أبى سفيان بالديباج مرتين فى يوم عاشوراء . ثم كساها الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان .

وجرت عادة الخلفاء الأمويين على وضع الكسوة الجديدة فوق الأكسية القديمة ، حتى إذا تولى الخليفة العباسى المهدى ، شكا إليه سدنة الكعبة ، إذ خشوا أن يؤثر تكاثر الأكسية على بناء الكعبة ، فأمر المهدى برفع الأكسية القديمة ، وإبدالها بكسوة جديدة كل سنة ، وأصبحت سنة تتبع طوال العصور التالية .

وقام الخليفة العباسى المأمون بكسوة الكعبة ثلاث مرات ، فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية ، والقباطى يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان .

وكان سائر الخلفاء العباسيين يكسون الكعبة عادة بالحرير الأسود ، حتى إذا ضعفت الدولة العباسية صار يكسو الكعبة تارة حكام مصر وتارة أخرى حكام اليمن ، ثم انفرد حكام مصر بكسوة الكعبة .

وقد أمر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، بعد فتحه مصر سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م) بعمل كسوة للكعبة ، لينافس خلفاء بغداد العباسيين . وكانت هذه الكسوة مربعة الشكل من ديباج أحمر ، وسعتها مائة وأربعة وأربعون شبرا ، وكان فى حافاتها اثنا عشر هلالا ذهبيا ، فى كل هلال أترجة ذهبية ، وفى كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام فى الكبر ، كما كان فيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق . وقد نقش فى حافاتها الآيات التى وردت فى الحج ، والآية ٩٥ من سورة آل عمران ، والآية ٣ من سورة براءة ، بحروف الزمرد الأخضر ، وزينت هذه الكتابة بالجواهر

الثمينة . وكانت هذه الكسوة معطرة بمسحوق المسك .

ووصف الرحالة ابن بطوطة كسوة الكعبة التى أرسلتها مصر فقال : وفى يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصرى إلى البيت الكريم فوضعت فى سطحه . فلما كان اليوم الثالث بعد النحر أخذ الشيبيون فى إسبالها على الكعبة الشريفة . وهى كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان ، وفى أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض **﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما﴾** الآية . وفى سائر جهاتها طرز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن ، وعليها نور لائح مشرق من سوادها . ولما كسيت شمرت أذيالها صونا من أيدى الناس . والملك الناصر هو الذى يتولى كسوة الكعبة الكريمة ، ويبعث مرتبات القاضى والخطيب والمؤذنين والفراشين والقومة ، وما يحتاج إليه الحرم الشريف من الشمع والزيت فى كل سنة .

●●●

● وطوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كانت مصر ترسل الكسوة للكعبة سنويا ، وتتألف من ثمانى ستائر من الحرير الأسود ، وقد كتب عليه بالنسيج فى كل مكان منه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وحينما كانت تصل الكسوة من مصر إلى مكة تسلم للشيبى القائم بسدانة الكعبة بإشهاد شرعى يحضره الكبراء والعلماء فتبقى فى منزله إلى صباح يوم عيد النحر ، فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد إنزال الكسوة القديمة ، ويكون المسجد خلوا من الناس لأن معظمهم يكون بمنى ، ولا يبقى فى مكة منهم إلا نفرا قليلا .

حكايات الذين تعلقوا بأســـتار الكعبـــة

●● والحديث عن كسوة الكعبة يجـر للحديث عن أستار الكعبة والتعلق بهـا طلبا للمغـفرة والرحمـة ، وحسن الثواب ، وتحـقيق الأمنيات .

ويذكر المؤرخـون أن بعض الذين تعلقوا بأسـتار الكعبـة كانت لهم أمنيات غـريبة ، ومن هؤلاء لقمان بن عاد الذى تـعلق بأستار الكعبة المشرفة ، وتمنى وكانت أمـنيته غريبة قال : « اللهم يا رب البحار الخـضر والأرض ذات النبت بعد القطر امنحنى عـمرا فوق كل العمر » .

وعاش لقمان حـياة سبعة نسور ، والنسـر يعيش عادة حوالى الثمانين عـاما ، فيصبح عمـر لقمان ٥٦٠ عاما ، وقيل خـمسمائة عام ، وقيل ألف عام ، وقيل ثلاثة آلاف عام .

ورغم الاختـلاف فى تـحديد عـدد السنين التى عاشـها لقـمان الحكيم إلا أن هناك اتفاقـا عاما بأن دعاء لقمـان الحكيم عند تعلقه بأستار الكعبة كان من نتاجه فوزه بالعمر المديد .

وعندمـا أشرق نور الإسـلام على الإنسانيـة ، وجاء الرسـول المصطفى بخاتم الرسالات السماوية وجاهد فى سبيلها ، وهاجر ، وعاد فـاتحا أم القرى مكة كان من شـروط الصلح بينه وأهل مكة أن من تعلق بأستار الكعبة فهو آمن .

● ويذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى أنه فى العصر الأموى شاعت قصة مجنون ليلى قيس بن الملوح وتشبيبه وهيامه بليلى ، وعندمـا زوجها أبوها بآخـر جن وزال عقله جملة ، فـقيل لأبيه : خذه للحج ، إلى مكة وادع الله عـز وجل له ، واجعله يتعلق بأستـار الكعبة ، فحج به أبوه ، ثم قـال له : تعلق بأستار الكعـبة

واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى ، فتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم زدنى لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسنى ذكرها أبدا . فهام حينئذ واختلط عقله فلم يشف من حبها !

● وفى سنة ١٠٨ هجرية ، أيام خلافه الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور أرسل طائفة من جنوده يقال لهم الخشابة لصلب سفيان الثورى وتعليقه على الأخشاب التى ينصبونها لذلك بالمسجد الحرام ، قبل دخول الخليفة العباسى إلى مكة ليمر من تحته وهو مصلوب ، فى طريقه بالركب للحج .

فلما جاءوا ، ونصبوا الخشب لتعليقه نودى يا سفيان أن أمير المؤمنين أمر بقتلك وتعليقك ، فإذا رأسه فى حجر الفضيل ابن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة ، فقالوا له : يا أبا عبدالله ، اتق الله فينا ولا تشمت بنا الأعداء ، فقام رضى الله عنه ، وتقدم إلى أستار الكعبة وتعلق بها ، وقال : برئت منك ، إن دخلك أبو جعفر ، فاستجاب الله تعالى دعاه ، ولم يدخلها ، ومات أبو جعفر المنصور قبل دخوله مكة بمكان يقال له بئر ميمون حيث كبه فرسه فوقع ومات لساعته وحمل ميتا إلى مكة ودفن بالمعلاة .

● ومن الرحّالة العرب الجوالين الذين قاموا بالتعلق بأستار الكعبة عند قيامهم بتأدية فريضة الحج ابن جبير وابن بطوطة وذلك فى موضع محدد وقف فيه كلاهما ، على الرغم من الفاصل الزمنى الكبير الذى فصل بينهما ، إذ أدى الأول فريضة الحج فى عام ٥٧٩ هجرية ، فى حين أداها الآخر فى عام ٧٢٤ هجرية .

قال ابن جبير يصف ذلك : « .. فطفنا طواف القدوم ، ثم صلينا بالمقام الكريم ، وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم - وهو بين الحجر الأسود والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة .

ونفس الفعل فعله ابن بطوطة حيث قال : « وطفنا بها طواف القدوم ، واستلمنا الحجر الكريم ، وصلينا ركعتين بمقام إبراهيم ، وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم ، بين الباب والحجر الأسود ، حيث يستجاب الدعاء » وفى العصر الحديث روى اللواء إبراهيم رفعت باشا فى أثناء تأديته لفريضة الحج عام ١٣١٨ هجرية الموافق ١٩٠١ ميلادية أنه قال بعد طوافه : « أتينا الملتزم ، وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فى الجهة الشرقية ، ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا إلى الله أن يعافينا فى ديننا ودنيانا ، وقلنا ما خطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ».

ومن خلال هذه الحوادث التاريخية يتضح لنا أهمية التعلق بأستار الكعبة المشرفة عند المسلمين ، بل خصص مكان محدد عند أستار الكعبة ، وهو عند الملتزم ، على حد قول ابن جبير وابن بطوطة فى حجيهما لاستجابة دعاء الداعين .



الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة

٧

الشعراوى : نعم ..

أنا شاركت مع العمال فى بناء أكبر توسعة فى تاريخ المسجد الحرام

- حملت « المونة » على كتفى وظهرى وكنت سعيدا بهذا الحظ والشرف
- كنت أعمل طول الليل .. وفى الصباح أذهب إلى كلية الشريعة
- شاهد عيان يحكى وقائع أكبر ملاحم البناء والإعمار فى تاريخ الحرم المكى الشريف



الشعراوى .. نعم ..

شاهد الشيخ الشعراوى الحرمين الشريفين لأول مرة سنة ١٩٣٧ عندما ذهب للحج وهو طالب بالأزهر الشريف.

ثم شاهدهما بعد ذلك سنة ١٩٥٠ عندما ذهب للعمل أستاذا بكلية الشريعة فى مكة المكرمة.

وتكررت مشاهدته لهما. وزياراته، على امتداد ١٨ سنة هى مدة عمله هناك.

ثم شاهدهما بعد ذلك، على امتداد العمر. مرات عديدة.

وحديث الشيخ الشعراوى عن الذى شاهده قبل ٦٠ سنة، والذى شاهده بعد ذلك. فى مكة المكرمة هو شىء يثير الدهشة والأمل لدى كل مسلم ويجعله يتضرع إلى الله أن تكتب له هذه الرحلة الطيبة إلى الأراضى المقدسة، ورؤية مكة التى كرمها الله.

بعيون الشيخ الشعراوى نرى الذى رآه منذ ستين سنة، والذى رآه بعد ذلك، ونصغى لحديثه عن الذى كان، والذى جرى بعد ذلك.

بذاكرته القوية، يعبر الشيخ السنين الطوال، عائدا إلى الوراء، ويتذكر، ويروى :

– أنا رأيت المسجد الحرام فى مكة المكرمة قبل ٦٠ سنة. رأيته وهو مفروش بالحصى ومغطى بسعف النخيل.

كان ذلك عندما ذهبت للحج وأنا طالب بالأزهر الشريف.

ثم رأيته بعد ذلك، سنة ١٩٥٠ عندما ذهبت للعمل فى مكة المكرمة.

وعشت قريبا منه مدة ١٨ سنة.

ثم توالت مشاهدتى له.

والذى حدث للمسجد الحرام، من أعمال تطوير وإعمار وتوسعة، هو شىء يفوق الوصف.

شىء لم يحدث له مثيل على امتداد تاريخه.

وأخذ الشيخ يقارن بين الوضع الذى كان عليه المسجد الحرام سنة ١٩٥٠، وبين التوسعات التى جرت بعد ذلك.. ويقول :

أنا رأيت المسجد الحرام فى سنة ١٩٥٠ وهو على النظام التركى «بتاع زمان».

أما التوسعات الهائلة التى حدثت بعد ذلك فقد حولته إلى شىء آخر.

شىء بالغ العظمة والجلال.

وقال الشيخ والفرحة تضىء وجهه : أنا شاركت باذن الله فى أعمال البناء التى جرت لتوسعة المسجد الحرام. وهذا مصدر سعادتى الكبرى.

نعم، لقد كان لى الحظ والشرف، أننى شاركت بيدى وجهدى فى بناء يخص بيت الله الحرام.

شاركت مع العمال.

حملت «المونة» على كتفى وظهرى ورأسى.

وحملت الحديد.

كنت أعطى العمال «فلوس» وأرجوهم أن «يشغلونى» معهم.

لم أكن وحدى الذى فعلت ذلك.

كان معى الشيخ أبو طالب والشيخ عطية.

كنا نروح بالليل، ونقابل العمال ونرجوهم ونسترضيهم لكى يسمحوا لنا بالعمل معهم.

وأتذكر أننى شاركت أيضا فى «صب» سطح الدور الأول بالمسجد.

وكان لى صاحب من العمال من شبرا اسمه المعلم أبو السعود.. وكنت سعيدا بمعرفتى به لأنه كان يشغلنى مع العمال.

كان العمل يستمر طول الليل.

وبعد صلاة الفجر كنت أعود إلى بيتى لاستريح ثم أذهب إلى عملى فى كلية الشريعة وأنا فى غاية الرضا والسعادة لأننى قضيت الليل أعمل فى بناء كريم يخص الحرم الشريف.

قراءة.. فى ملف التوسعة العملاقة للمسجد الحرام

●● وذكريات الشيخ الشعراوى عن أكبر توسعة فى تاريخ المسجد الحرام. والتى يصفها بالعظمة والجلال، وأنه كان له الحظ والشرف فى أن يشارك مع العمال فى بنائها، وفى حمل «المونة» والحديد على ظهره وكتفه ورأسه، وأن يبقى ذلك مصدر سعادته الكبرى .

هذه الذكريات تفتح ملف التوسعة الأكبر للمسجد الحرام التى تمت فى عهد الملك فهد، والتى تكلفت ٧٠ مليار ريال، من أجل استيعاب مليونى حاج كل عام.

تقول أوراق الملف الذى أعده شاهد عيان : عندما يجتمع حوالى ٢ مليون شخص فى زمن واحد لا يتجاوز أياما معدودة فى موسم الحج أو العمرة ، وفى مكان واحد لا يتجاوز عدة كيلومترات هى منطقة الشعائر ، فإن التحدى الحقيقى الذى

يفرض نفسه على السلطات السعودية هو كيف يمكن توفير الأمن والراحة لهذه الجموع التى تزحف كل عام ، من كل بقاع الدنيا قاصدة وجه الله والاستجابة لندائه ودعوته .

والحقيقة التى يلمسها كل قادم سواء للحج أو العمرة أن هناك عملا كبيرا قامت بها المملكة، وهى تتمثل فى مشروعات التوسعة وإعمار الحرمين الشريفين لاستيعاب كافة المسلمين الراغبين فى أداء الشعائر الدينية.

وتؤكد أوراق الملف أن مشروعات الإعمار والتوسعة هى سياسة مستمرة بدأها مؤسس المملكة الملك عبدالعزيز ، وتواصلت من بعده على يد الملك سعود ثم الملك فيصل ثم الملك خالد .. غير أن أكبر توسعة شهدها الحرمان الشريفان فى تاريخهما هى تلك التى قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد.

ففى الثانى من شهر صفر عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م) وضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس لمشروع توسعة الحرم المكى الشريف ويتضمن : إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحرام من الناحية الغربية وتبلغ مساحة أدوار مبنى التوسعة ٧٦٠٠٠م٢ موزعة على الدور الأرضى والدور الأول والقبو والسطح تتسع لحوالى ١٥٢٠٠ مصل إضافى.. وتجهيز الساحات الخارجية بمساحة إجمالية تبلغ ٨٥٨٠٠ م٢تكفى لاستيعاب ١٩٠٠٠٠ مصل وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام بكاملها بعد التوسعة ٣٥٦٠٠٠ م٢ تتسع لحوالى ٧٧٣٠٠٠ مصل فى الأوقات العادية، أما فى أوقات الذروة كموسم الحج وأثناء شهر رمضان فيصل عددهم إلى أكثر من مليون مصل.

● ويضم مبنى التوسعة مدخلا رئيسيا و ١٨ مدخلا عادي إضافة إلى مدخلين جديدين للقبو وذلك بالاضافة إلى المداخل

الموجودة قبل التوسعة والتى بلغ عددها ٤ مداخل رئيسية و٢٧ مدخلا عاديا كما شمل مئذنتين جديدتين بارتفاع ٨٩ مترا تتشابهان فى تصميمهما المعمارى مع المآذن السبع القائمة قبل التوسعة ليصبح عدد مآذن المسجد الحرام ٩ مآذن. وقد تم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة مساحة كل منهما ٣٧٥م٢ ويحتوى كل مبنى على مجموعتين من السلالم المتحركة تبلغ الطاقة الاستيعابية لكل منهما ١٥ الف شخص فى الساعة الواحدة، وبذلك يصبح إجمالى عدد السلالم المتحركة ٧ تنتشر حول محيط الحرم والتوسعة لخدمة رواد الدور الأول إضافة إلى وحدات الدرج الثابت وعددها ٨ وحدات.

ويشتمل مبنى الحرم المكى حاليا على ثلاثة طوابق القبو وارتفاعه ٤,٣٠ م والطابق الأرضى وارتفاعه ٩,٨٠ والطابق الأول وارتفاعه ٩,٦٤م إضافة إلى سطح التوسعة الذى تم تبليطه بالرخام بكامله ليتسنى للمصلين استخدامه. كذلك تم إضافة ثلاث قباب تقع بموازاة المدخل الرئيسى ارتفاع كل منها ١٣ م وتحتوى على فتحات بكامل محيطها.. مع إضاءة المسجد بما مجموعه ٦٩٣٠ وحدة من الثريات والمصابيح.



الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

٨

أسرار الماء المبارك

الذى يتدفق من بئر زمزم

• تشرشل فى مذكراته :
أحلى ماء شربته فى حياتى !

• الشعراوى :
السعى بين الصفا والمروة .. يذكرنا بقصة هاجر وابنها إسماعيل .. ومغزاها الكبير



أسرار الماء المبارك

فى ذلك المساء، لم يكن الشيخ مهيأ للحديث، فقلت له لكى أثير انتباهه :

– تشرشل.. يا مولانا؟

فقال : ماله تشرشل؟

قلت : شرب من ماء زمزم!

فضحك الشيخ الشعراوى طويلا، وقال :

– وكيف عرفت ذلك ؟

قلت : كتبها فى مذكراته، وفى هذه المذكرات قال تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق إنه شرب من ماء زمزم أثناء الحرب العالمية الثانية، وقال إنه أحلى ماء شربه فى حياته، وأنه شرب منه حتى شبع.

قال الشيخ : زمزم تمثل شيئا هاما فى العقيدة، والشرب منها يذكرنا برحمة الله وعدم اليأس عندما لا تجدى الأسباب.

فالسعى بين «الصفا والمروة» هو من شعائر الحج والعمرة.

والصفا والمروة هما ربوتان تسعى بينهما سبعة أشواط مثل الطواف.

والله تبارك وتعالى يريدنا أن نستحضر فى هذه الشعيرة قضية إيمانية.

فهو يجعلنا نسعى بين الصفا والمروة لنتذكر قصة هاجر

وابنها الرضيع إسماعيل حينما جاء بهما إبراهيم عليه السلام إلى هذا المكان الذى لا زرع فيه ولا ماء ولا وسائل حياة.

فى هذا المكان، ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع، وعندما انطلق راجعا أمسكت هاجر بزمام دابته وقالت : لمن تتركنا؟ فلم يجب إبراهيم. فقالت هاجر : آلله أمرك بهذا ؟

قال لها : نعم.

فاطمأنت نفسا وهدأت بالا وقالت : إذن لن يضيعنا الله أبدا.

نزلت هاجر على حكم الله وارتضته.

فماذا حدث؟

مر الوقت، ونفد ما كان معها من ماء.

وعطش الرضيع. وراحت تبحث له ولنفسها عن الماء، ساعية بين «الصفا والمروة» لعلها تجده هنا أو هناك.. وأدركها التعب وهى تهرول سبع مرات، دون فائدة. فعادت إلى طفلها.. وإذا بقدم الطفل تضرب الأرض فينبع منها الماء.

وترى الماء وهى غير مصدقة.

ومن فرحتها راحت تحوط الماء بيديها وتقول «زم.. زم». أى «إتلم.. إتلم» وذلك خوفا على الماء من أن يضيع ويذهب، فأوحى الله إليها بجبريل أن لا تخافى ودعى الماء، فإنه باق تشربين منه أنت ووليدك، ويشرب منه المسلمون إلى يوم القيامة.

وقال الشيخ : مع تفجر الماء عند قدمى الطفل. تكتمل القضية الإيمانية بكل دلالتها ومغزاها، وهى أننا يجب أن نأخذ بالأسباب، وأن نحاول قدر ما نستطيع، ثم نترك الأمر لله، دون يأس.

وهذا ما فعلته هاجر.

وشىء آخر، وهو أن تفجر مياه زمزم، وظهورها، هو تصديق لقول هاجر : «إذن فإن الله لن يضيعنا».

●●●

● وقد اهتم المسلمون، منذ أيـام الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا، بماء زمزم، وحرصوا على الشرب منه اتباعا لسنة المصطفى ﷺ.

وكان النبى يطلبه من مكة بعد هجرته إلى المدينة.

والأحاديث النبوية الشـريفة التى تتحدث عن فـضل ماء زمزم كثيرة ومنها قوله ﷺ :

«ماء زمزم لما شرب له».

«فإن شـربته تستـشفى به شفـاك الله، وإن شربته مـستعـيذا أعاذك الله، وإن شربته لتقطع ظمأك قـطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله»

وهناك حديث لرسول الله ﷺ يقول : «ماء زمزم شفاء كل داء».

وحديث آخر للنبى ﷺ يقول : «التضلع من ماء زمزم براءة من النفـاق، ومنهـا قـوله ﷺ : «آية مـا بيننا وبين المـنافـقـين أنهم لا يتضلعون من زمزم».

● وشرب ماء زمزم له آداب.

ويذكر لنا الإمام ابن عبـاس هذه الآداب فيقول : إذا شربت من ماء زمزم فـاستقبل القـبلة، واذكر اسم الله، وتنفس ثلاثا، وتضلع منها «أى امـلأ ضلوعك بها» فـإذا فرغت فـاحمد الله، فـإن رسول الله ﷺ يقول : إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم.

ومـاء زمزم هو خـيـر ماء على وجـه الأرض، وهو فـيض من رحمة الله التى وسعت كل شىء.

يقول الرسول ﷺ : «خير ماء عـلى وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعام وشفاء من السقم.»

ويقال أن أبا ذر الغـفارى رضـى الله عنه مكث ثلاثـين يوما فى الحرم يتقوت فقط على ماء زمزم.

● والسؤال : ما هى خواص ماء زمزم ؟ وما هى فوائده؟
والإجابة التى يقدمها العلماء تقول :

- لقد اتضح من التحليل الكيماوى لمياه زمزم أن كمية الأملاح الذائبة ١٦٢٠ جزءا (فى المليون) الكلوريدات ٢٣٤ جزءا، الكربونات ٣٦٥ جزءا، الكبريتات ١٩٠ جزءا، والنترات والكبريتيدات (غير موجودة).

وقد قامت إحدى الشركات الألمانية المكلفة بدراسة الأعمال الخاصة بمشروع توسعة المطاف حول الكعبة المشرفة وتصريف مياه الحرم والأعمال المتعلقة به بإجراء دراسة عن بئر زمزم وأجرت تحليلا لعينة من ماء زمزم فى (ألمانيا) وأسفرت نتائج التحليل البيولوجي لمياه زمزم على النحو التالى :

المغنسيوم ٥٧ مللجم لكل لتر، كالسيوم ٩١ مللجم/لتر، كلورايد ٢٢٠ مللجم/ لتر، كبريت ١٥٧مللجم/لتر، نتريت ٤,٥ مللجم/لتر، نترات ٢٠٧ مللجم/لتر.

وحقيقة هذا الماء المبارك أنه ماء قلوى تكثر فيه الصودا والكلور والجير وحامض الكبريتيك وحمض الأزوتيك والبوتاسا مما يجعله أشبه شيء بالمياه المعدنية الصحية فى تأثيرها.

وينصح بالشرب من ماء زمزم بعد طواف القدوم لتأثيره على الجهاز الهضمى بما ينظفه من المواد التى تكون قد انفرزت إليه مدة السفر الشاقة، مما يكون رد فعل تنشط به الأعضاء بالنسبة لجسم المسافر.

وماء زمزم لا يختلف فى لونه عن جميع مياه الدنيا، ولكن طعمه يختلف عنها. فهو سائغ للشاربين، ويمتاز بطعمه الخاص المميز.

وبئر زمزم الآن أكثر صيانة وحفظا ووقاية من الأزمنة السابقة.

وفى أى وقت تذهب إليه، سواء فى الليل أو النهار، ستجدها مزدحمة بالناس.

وبطبيعة الحال فإن هذا الزحام يشتد أكثر فى أوقات الحج وفترات العمرة.

وقديما كان ماء زمزم يستخرج من البئر بواسطة (الدلو) ويوضع فى حنفيات (خزان مكشوف من أعلى) وكان كل حاج أو معتمر يدلى بإنائه داخل الحنفية لكى يشرب منه، كما كان هناك «مغارف» مربوطة إلى الحنفيات بحبل أو سلسلة ليغترف الزوار بها من ماء زمزم، ولكن هذه الطريقة كان لها أضرار صحية، لذلك اهتدى المسئولون فى عام ١٣٧٣ هجرية إلى عمل مظلة أمام بئر زمزم يوضع بها خزانان كبيران. ووضعت مضخة غاطسة فى البئر لاستخراج ماء البئر بطريقة وفيرة نظيفة.

وبعد رفع المياه بواسطة المضخة أصبحت مياه زمزم أكثر عذوبة لأن (الدلاء) كانت تأخذ من سطح الماء، أما المضخة فتأخذ من عمق مترين تحت سطح الماء!

ويعتبر هذا الوضع تحولا كبيرا فى تاريخ بئر ماء زمزم خصوصا بعد تركيب مضخة ثانية كاحتياط، وبذلك تم تغيير أسلوب استخراج الماء من البئر إلى وضع أفضل من ناحية كمية الماء المستخرج ونظافته، وبالتالى من ناحية طريقة الشرب، فبدلا من وضع الإناء فى الحنفية لمدة أصبح فى الإمكان ملء الإناء بواسطة الصنبور.

ومع توسعة (المطاف) هدم البناء الذى فوق بئر زمزم، وخفضت فوهة البئر أسفل المطاف بالقرب من المحيط الخارجى لدائرة المطاف، وأصبح من الممكن الوصول إلى منسوب الأرض المحيطة ببئر زمزم عن طريق درج.

وتبلغ المساحة المخصصة لمكان الشرب من (ماء زمزم المبارك) ١٠٠,٧٤ متر مربع منها ٥٤,٢٧ متر مخصصة للرجال، و٤٦,٤٧ متر مخصصة للنساء مجهزة بـ ٣٩ صنبورا.

وفى قسم الرجال ٢٠ صنبورا للماء، وفى القسم المجاور (للنساء) ١٩ صنبورا كانت متصلة بخزانين تحت الأرض على جانبى درج زمزم ثم وصلت هذه الصنابير بخزان باب السلام بعد أن أصبحت المياه معقمة بالأشعة فوق البنفسجية ومبردة مركزيا.

ومن ملامح التخطيط الجديد بالنسبة لمنطقة زمزم : توسعة مساحة (البدروم) الذى توجد فيه بئر زمزم من ١٣٥ مترا مربعا إلى مساحة أكبر تصل إلى ١٤٥٠ مترا، ويصل ماء زمزم البارد إلى الزائر بسهولة خلال نافورات الشرب المعدنية الجميلة.



الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة

٩

هنا .. رأيت سيدنا إبراهيم

فى الليلة المباركة .. شرفنى الله وشرف عينى برؤية سيدنا إبراهيم

- حكاية الشعراوى مع مقام سيدنا إبراهيم .. ولماذا اعترض على نقله ؟
- أرسلت برقية فى ٥ صفحات للملك سعود أوضحت فيها اعتراضى على النقل.. وأخذوا برأيي
- الملك قال : هاتوا الشعراوى .. وقابلته .. فأعطانى « عباية .. وساعة .. وقلم »



ويأتى الحديث عن مقام سيدنا إبراهيم الخليل .

ومقـام إبراهيم عليه السلام هو « الحـجر » الذى كـان « يقـوم عليـه» أى يقف عليـه سـيـدنا إبراهيم الخليل وهو يبنى الكعـبة المشرفـة ، بيت الله الحرام ، والذى وقف عليه أيضا وهو يؤذن فى الناس بالحج .

وهو من معجزات سيدنا إبراهيم الخليل .. فقد صار هذا الحجر « لينا » تحت قدميـه حتى غاصتا فـيه . وقد بقى هذا الأثر ظاهرا إلى اليوم .

ويقـول أمـيـر المؤمنين عـمـر بن الخطاب : قلت يارسـول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت الآية الكريمة : ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ فقام رسول الله ﷺ فـجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين .

ومقام إبراهيم « الذى هو الحجر » يشبه المكعب .

ارتفاعه ٢٠ سنتيمترا .

وثلاثة من أضلاعه طولها ٣٦ سنتيمترا .

أما الضلع الرابع فطوله ٣٨ سنتيمترا .

وقاعدته محيطها ١٥٠ سنتيمترا .

أما محيط سطحها فهو ١٣٦ سنتيمترا .

ولكثرة التمسح به طلبـا للبركة .. ولمس الناس له بأيديهم على

موضع القدمين ، فقد تلاشت آثار الأصابع .

وقد حدث فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن جاء سيل شديد فجرف حجر المقام من موضعه إلى مكان بعيد .. فجاءوا به وربطوه فى أستار الكعبة حتى يصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويضعه فى موضعه .

ووصل عمر بن الخطاب .. وأخذ يسأل الناس : من الذى عنده علم بالمكان الذى كان يوضع به حجر المقام ؟

فرد عليه عبدالمطلب بن أبى وداعه السهمى وقال : أنا ياعمر .. لقد كنت أخشى أن يحدث ما حدث .. ولذلك فقد وضعت القياسات التى تحدد موضع « حجر المقام » واحتفظت بها .

لقد أتيت « بقماط » أى بحبل .. وقست المسافة بين موضع المقام والركن وحجر إسماعيل وزمزم .. وعملت « عقدة » بالحبل لتحديد موضوعه بالضبط بالنسبة للمسافة التى بينه وبين الأماكن الأخرى التى ذكرتها .. ومازالت احتفظ بالحبل .

وجاءوا بالحبل .

وقام عمر بن الخطاب ووضع « حجر المقام » فى الموضع الذى كان عليه .

وهو المكان الذى يوجد به إلى اليوم .

وهو يبعد عن باب الكعبة مسافة ١٥ مترا .

وعندما تكلم الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الكعبة المشرفة وبيته الحرام لم يذكر سوى « مقام إبراهيم » .. فقال : **﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾** .

ومن هنا تأتى قداسته .

●●●

تلك السطور عن «مقام إبراهيم » هى للتمهيد والتوضيح لما

سيتناوله الشيخ الشعراوى من وقائع هامة ومثيرة تتعلق بمقام إبراهيم ، وهى الوقائع التى كان الشيخ طرفا فيها .

وتاريخ هذه الوقائع يعود إلى عام ١٩٥٤ وكان الشيخ وقتها يعمل أستاذا بكلية الشريعة فى مكة المكرمة .

ويقول الشيخ : فى تلك الأيام .. كانت هناك فكرة لنقل « مقام إبراهيم » من مكانه إلى مكان آخر .. أى أن يرجعوا به إلى الوراء لتوسيع « المطاف » الذى وجدوه قد ضاق بالطائفين وأصبح الزحام مشكلة .

وكانت فكرة نقل مقام إبراهيم قد أخذت طريقها للتنفيذ .

وتم بالفعل إقامة المبنى الجديد الذى من المقرر أن ينقل إليه المقام.

وكان المبنى الجديد على غرار المبنى القديم .

وتحدد اليوم الذى سيقوم فيه الملك سعود بنقل المقام إلى المبنى الجديد فى الموقع الجديد .

وكان هذا اليوم هو يوم « الثلاثاء » .

وقبل أن يأتى هذا اليوم بخمسة أيام .. أى فى يوم «الجمعة» السابق على يوم « الثلاثاء » .. بدأت الوقائع المثيرة التى كان الشيخ طرفا فيها .

لقد اعترض الشيخ الشعراوى على نقل « مقام إبراهيم » من مكانه إلى مكان آخر !

كان يرى فى ذلك شيئا مخالفا للشريعة .

وكان هذا « الاعتراض » أو مجرد إبداء الرأى من شيخ مصرى يعمل « موظفا » بالسعودية يعد فى نظر البعض تدخلا فى مسائل لا ينبغى للآخرين من غير السعوديين أن يتدخلوا فيها .

لكن الشيخ بدأ الخطوة وأخذ يتحرك سريعا وفى تقديره أنه فى سباق مع الوقت !

فاليوم هو الجمعة .

وبعد أربعة أيام سيأتى الملك سعود وينقل «مقام إبراهيم » إلى المكان الجديد .

وكل شىء أصبح معدا وجاهزا للاحتفال بهذه المناسبة أو هذا الحدث التاريخى ! فهى المرة الأولى التى سينقل فيها مقام إبراهيم إلى مكان آخر ! وهو ما يراه الشيخ مخالفا للشريعة !

وأراد الشيخ أن يقول كلمته .. وأن يقولها للملك !

كيف تحرك الشيخ ؟

يقول الشيخ : بالصدفة عرفت بهذا الموضوع .. كنت أصلى بالحرم الشريف .. وعند مقام سيدنا إبراهيم الخليل سمعت بما يقال عن نقل المقام إلى الوراء .. إلى منطقة « الحصوة ».

وعرفت أن المبنى الجديد الذى سينقل إليه المقام قد أقيم فعلا .

كانت الفكرة من وراء نقل المقام هى « توسيع المطاف » الذى أصبح يضيق بالطائفين - كما قلت - وكان المقام موجودا داخل مبنى كبير .. وليس كما هو الآن .

وكان هذا المبنى الكبير هو الذى يتسبب فى ضيق المطاف والزحام الذى يشكل صعوبة شديدة .

ووجدوا أن الحل لتيسير المطاف هو نقل المقام والرجوع به إلى الوراء واستندوا فى ذلك إلى مشورة بعض العلماء الذين قالوا إن النبى ﷺ قد نقل المقام من قبل .

كان المقام لصق الكعبة . .

ورأى النبى ﷺ أن ينقله .. ونقله بالفعل إلى مكانه الحالى .

وقد استندوا إلى ذلك .. أى إلى أن النبى ﷺ قد سبق له أن نقل المقام . .

وهكذا أقاموا المبنى الجديد فى الموقع الجديد .. ولم يبق سوى

أربعة أيام ويأتى الملك سعود وينقل « حجر المقام » إلى المكان الجديد .

ووجدت أن السكوت على ذلك غير مقبول .

واتصلت ببعض العلماء المصريين من زملائى فى البعثة .. وقلت لهم : إننا يجب أن نقول كلمتنا .. أن نعلنها .

فقالوا : إن الموضوع أصبح منتهيا .. وإن المبنى الجديد قد أقيم بالفعل .. وأن نقل المقام سيتم بعد أربعة أيام .. وانهم – أى السعوديين – سيعتبرون كلمتنا تدخلا فى شئونهم .. وتخوف البعض من ردود الفعل وقالوا : « قد يغضبون علينا ويعقدون لنا الأمور ويضعوننا فى مشاكل » !

ولم اقتنع بهذا الكلام .

واتصلت ببعض العلماء السعوديين وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم النورى والشيخ إسحاق عزوز وغيرهما . وقلت لهم : إنه لا يصح لنا أن نترك هذه المسالة تمر .. نريد أن نقول كلمتنا .. وهم أحرار بعد ذلك أن يأخذوا بها أو لا يأخذوا.

فقالوا إنهم حاولوا .. وأن المقام الجديد قد تم بناؤه فعلا .. وأن هذا الموضوع أصبح منتهيا .. وأن الكلام الآن لا يجدى .

فقلت أنا سأعملها وحدى !

●●●

وقال الشيخ : لقد أرسلت برقية من خمس صفحات فولسكاب إلى الملك سعود .. وعرضت فيها المسألة من الناحية الفقهية والتاريخية .. وقلت أن نقل المقام من مكانه إلى مكان آخر لا يجوز شرعا .. وأن الذين يحتجون بأن رسول الله ﷺ قام بنقل المقام واستندوا إلى ذلك فى تبرير عملية النقل قد جانبهم الصواب .. لأن الرسول رسول ومشرع .. وليست هذه حجة لكى نستند إليها

وننقل مقام إبراهيم من المكان الذى وضعه فيه رسول الله .

وقلت فى برقيتى أيضا : أن عمر بن الخطاب لم يفعلها .. وأنه عندما وقع السيل الشديد المعروف بسيل « أم نهشل » وجرف « حجر المقام » من مكانه وذهب به بعيدا .. عندما حدث ذلك وعرف به عمر بن الخطاب جاء فزعا من المدينة وجمع الصحابة وسألهم قائلا : « أناشدكم أيكم يعرف موقع هذا المقام فى عهد رسول الله ﷺ ؟».

فقام رجل وقال أنا ياعمر .. لقد اعددت لهذا الأمر عدته .. وتحسبت من وقوعه .. ولذلك قست المسافة التى تحدد موضع المقام بالنسبة لما حوله .. واستخدمت « القماط » أى الحبل فى ذلك.. وهذا الحبل موجود وبه « عقدة » تحدد الموضع بالضبط .

لكن عمر بحصافته لم يأخذ الكلام على علاته .. بل أجلس الرجل إلى جانبه وأرسل من يأتى بالحبل من بيته ليتأكد من صدق روايته .. وجاءوا بالحبل .. وتأكدت رواية الرجل .

وقام عمر بن الخطاب بوضع حجر المقام فى موضعه الذى كان عليه فى عهد رسول الله ﷺ .. ولذلك لا يجوز لأحد أن ينقل المقام من مكانه وموضعه الذى وضعه فيه رسول الله.

●●●

وقال الشيخ الشعراوى إن البرقية وصلت الملك سعود .

وأن الملك جمع العلماء وقدم لهم البرقية .. وطلب منهم أن يدرسوا ما جاء بها .. وأن ينتهوا إلى رأى .. وأن يبلغوه بهذا الرأى فى اليوم التالى .. وهو يوم الأحد .. أى قبل الموعد المحدد لنقل المقام بـ ٢٤ ساعة !

واجتمع العلماء وتدارسوا ما أوردته البرقية .

وأنطقهم الله بكلمة الحق .

ووافقوا على كل ما جاء بالبرقية .. وأيدوا ما ذكرته .. وقالوا : إن هذا الكلام لا ينقض .. وبعثوا برأيهم هذا الى الملك سعود .

فأصدر الملك أمرا بعدم نقل المقام .

وأصدر أمرا آخر بهدم المبنى الجديد الذى كان قد تم بناؤه .

وقال الشيخ إن الملك أمر بدراسة الاقتراحات التى أشرت إليها فى برقيتى لتوسعة المطاف .. وتحقيق الغرض المطلوب دون المساس بموضع المقام .. وفى توضيحه لهذه الاقتراحات قال الشيخ الشعراوى : أنا قلت أن المبنى الذى يضم « مقام إبراهيم » مبنى كبير . وهو الذى يزحم المكان ويتسبب فى ضيق المطاف .. ومن الممكن أن نزيل هذا المبنى .. وأن نبقى فقط على الموضع الذى به « مقام إبراهيم » وهو لا يشغل سوى مساحة صغيرة لا تزيد على المساحة التى يشغلها شخصان اثنان من الطائفين .

واقترحت أن يعمل له قبة من الزجاج .. قبة صغيرة مناسبة .

وأن يكون الزجاج غير قابل للكسر .

وقلت أيضا : إن إظهار « مقام إبراهيم » للناس هو تحقيق للآية الكريمة التى تقول عن بيت الله الحرام : ﴿ **فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾ وليس من المقبول أو المعقول أن نعمل بعكس الآية ونضع « المقام » فى مبنى يحجبه عن أعين الناس .

وقال الشيخ الشعراوى وقد أخذوا باقتراحاتى فأزالوا المبنى الذى كان يوجد به المقام .. وعملوا « القبة » الزجاج فوق المقام فأصبح ظاهرا لأعين الناس .

وقال الشيخ الشعراوى : الحمد لله .. الحمد لله .. لقد عملت فى مكة المكرمة طوال ثمانية عشر عاما كأستاذ فى كلية الشريعة ، قدمت خلالها كل ما استطعت من جهد .. لكن هذا العمل الذى وفقنى الله إليه وهو الإبقاء على « مقام إبراهيم الخليل » فى

موضعه يفوق عندى كل ما قدمت ، بل هو عندى بالدنيا وما فيها فالحمد لله .

لقد طلبنى الملك سعود .. وقال : «هاتولى الشيخ الشعراوى » .. ورحت له .. وشكرنى .. وأعطانى « مشلح » وساعة وقلم !

● ونسأل الشيخ : وما معنى مشلح ؟

ويقول : يعنى عباية .

ويصمت الشيخ .. ويطول صمته .

وتضىء الفرحة وجهه وهو يتذكر شيئا عزيزا وغاليا .. ويقول :

بعد يومين اثنين من الأمر الذى أصدره الملك سعود بإيقاف نقل المقام .. شرفنى الله .. وشرف عينى برؤية سيدنا إبراهيم الخليل .

الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة



١٠

ذكريات باسمة ..

فى مكة المكرمة

- أغرب « شحات » صادفته .. على باب المسجد الحرام !
- وأغرب حاج قابلته فى مكة المكرمة
- ونحن نطوف حول الكعبة .. فوجئت بصديقى يقول: يارب .. توب على الشيخ الشعراوى من التدخين!
- يوم دخول الميكروفون إلى المسجد الحرام .. لأول مرة



ذكريات باسمة .. فى مكة المكرمة

يتمتع الشيخ الشعراوى بروح مرحة ، تشيع جوا من البهجة وخفة الظل على المحيطين به ، فأحاديثه لا تخلو من نوادر وقفشات وحكايات باسمة تجذب سامعيه وتحببهم فيما يقول ، وتجعلهم يقبلون عليه فى يقظة وشغف واهتمام .

وفى سياق الحديث عن أيامه فى مكة المكرمة ، سألت الشيخ الشعراوى : ماذا عن النوادر والقفشات والمواقف الغريبة التى صادفها الشيخ خلال تلك السنين الطويلة التى عاشها هناك .. فى مكة المكرمة ؟ ضحك الشيخ طويلا ، وقال : الحكايات كثيرة جداً .. ومن الحكايات التي لاأنساها .. هذه الحكاية .

كنا فى الحج .

وحدث أثناء خروجى من أحد الأبواب فى المسجد الحرام أن وجدت عددًا كبيرا من الناس يتزاحم لأخذ «الصدقات» .. ناس جايين « يشحتوا » .. وفيهم محترفون فى التسول !

ولاحظت أن رجلا يزاحم الناس بقوه وهو يندفع فى اتجاهى ، فمددت يدى وأعطيته ما تيسر ، فأخذه مبتسماً ووضعه فى جيبه ، ومد يده من جديد وهو يحاول الاقتراب منى !

فعدت إلى المسجد تفاديا لهذا الزحام واتجهت إلى باب آخر للخروج منه .

لكنني وجدت زحاما على هذا الباب أيضا من طالبى الصدقات والمتسولين .. ولمحت الرجل الذى كان يزاحم بقوة على الباب الآخر ، والذى سبق أن أعطيته ما تيسر ، ولم يقنع بذلك .. لمحته يزاحم بقوة أشد وهو يتقدم نحوى .. فقلت لنفسى ربما كانت له ظروفه الخاصة .. ومددت يدى له وأعطيته ما تيسر ، وأجزلت له فى العطاء ، فأخذه مبتسما ووضعه فى جيبه ومد يده من جديد !

وأغاظنى الرجل ..

وعدت إلى داخل المسجد من جديد لألتمس بابا آخر للخروج تفاديا لهذا الزحام ، وحتى لا أرى وجه هذا الرجل اللحوح فى طلب الصدقة ، والذى اعتقدت أنه متسول محترف يصر على مطاردتى واغاظتى .

وبمجرد خروجى من الباب ، وجدت زحاما أقل ، ووجدت نفس الرجل وهو يزاحم أيضا للوصول عندى ، ويده ممدودة ، والابتسامه على وجهه !

واشتد بى الغيظ .. فأخذت أنا أزاحم للوصول إليه .. وأمسكته من « هدومه » .. وقلت له فى غضب :

– أنت ورايا ورايا ياجدع أنت !

أعتقنى بقى لوجه الله !

وأغاظنى أكثر عندما وجدته يستقبل غضبى بهدوء وبرود وابتسام !

وفوجئت به يقول :

– آخر مرة يا مولانا !

فقلت له وقد استبد بى الغضب :

– لأ .. مفيش .. ابعد عنى ياجدع أنت !

وفوجئت به يضحك ويقول :

أنت فاكرنى « شحات » يا مولانا ؟!

قلت له : إذا كنت موش « شحات » بتطاردنى ليه .. من باب لباب .. وفى وسط الناس ! يا جدع ابعد عنى .

قال الرجل وقد انفجر فى الضحك :

ياMولانا .. أنا جاى علشان أقابلك وأتكلم معاك فى موضوع خاص !

قلت له وأنا ما زلت غاضبا : شوف .. إذا كنت حتتكلم وتقول ظروفى تعبانه وعندى وعندى .. برضه مفيش فلوس .. خلاص .. كفايه اللى أخذته .. وابعد عنى .

قال الرجل وهو لايزال يضحك :

– ياMولانا .. أنا سفير المغرب !

ووجدت نفسى أضحك وأقول له :

– يخرب بيتك ! هات اللى أنت أخدته !

ورد وهو يقهقه :

– لا .. دى بركة !!

ويضحك الشيخ من قلبه .. ويقول : ومشينا معا وعرفت أنه جاء يدعونى لزيارة المغرب .

●●●

●● وفى حكاية أخرى يقول الشيخ :

أنا عملت بالجزائر ست سنوات رئيسا لبعثة التعريب .

وفى الجزائر تعرفت على الشيخ أحمد خطاب الذى كان وكيلاً لوزارة الأوقاف فى الجزائر والذى كان خطيبا لمسجد باريس بعد ذلك ، وأصبحنا أصدقاء .

والتقينا بعد ذلك فى السعودية ، عندما عدت للعمل أستاذا بكلية الشريعة فى مكة المكرمة .

التقينا فى الحج .

كان الشيخ خطاب قد جاء للحج ومعه صديق لنا نحن الاثنين وهو رجل أعمال مغربى اسمه الشيخ أحمد عابد .

ومن طبيعة الجزائريين والمغاربة أنهم سريعو الغضب .

وكنا نحن الثلاثة نلتقى كثيرا أيام كنت أعمل بالجزائر .. وكانت لنا جلسات طويلة .

ولذلك فقد سعدت بلقائهما عندما التقينا فى الحج ، فكلنا نقضى معظم الوقت معا .

والملاحظ فى السعودية أن الوقت يمر بسرعة شديدة .

فما أن تنتهى من فطارك حتى تسمع أذان الظهر .

وترجع من صلاة الظهر فتجد العصر قد جاء ، والمؤذن يرفع الأذان .

وترجع من صلاة العصر فتجد المغرب قد حان !

هذا شىء يبدو ملحوظا للذين يجيئون إلى السعودية لأول مرة .

كنا نحن الثلاثة نذهب للصلاة معاً .

وبحكم عملى فى السعودية لسنوات ، كنت متنبها للوقت .

فعندما نعود من صلاة الظهر .. وننشغل قليلا .. أقول لهما : يلابينا نروحوا نصلوا العصر .

ونرجعوا من صلاة العصر، فأقول لهم : ياللابينا نلحقوا المغرب !

وفوجئت بالشيخ عابد غضبان وزعلان !

وسمعته يقول للشيخ خطاب فى ضيق :

– شيخ خطاب ؟

فرد الشيخ خطاب :

- أيوه ياشيخ عابد .

فقال الشيخ عابد :

- احنا جايين نحجوا .. مش جايين نصلوا !

ويضحك الشيخ الشعراوى طويلا ..

●●●

●● يواصل الشيخ الشعراوى ذكرياته فى مكة المكرمة .

يقول : حكايتى مع السجاير والتدخين حكاية طويلة ، بدأت فى بلدنا دقادوس ، وانتهت فى مكة المكرمة ، بسبب دعوة دعاها لى أحد الأصدقاء ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة .

لقد عرفت التدخين ، وإلى حد الادمان سنوات طويلة .

حوالى أربعين سنة وأنا أدخن ، ووصلت إلى الحد الذى كنت فيه أدخن أكثر من ستين سيجارة فى اليوم ، وكان ذلك من أسوأ الأشياء فى حياتى .

عرفت التدخين فى سنة ١٩٤٧ .

كان وباء الكوليرا قد اجتاح مصر فى تلك السنة .

وكان الناس فى رعب من الكوليرا .

وسمعت وقتها أن « أكل البصل والتدخين »يحميان من الكوليرا.. فأقبلت على « البصل والتدخين » !

وانتهت الكوليرا ، واختفت .

لكننى لم أتوقف عن « البصل والتدخين » !

ومع الوقت انتهى دور البصل .

وبقى التدخين .

ومع الوقت كنت أدخن بشراهة .

وكانت السجاير تكلفنى كثيرا فى ذلك الوقت .

فى البداية ، كنت أشتريها « فرط »! يعنى اثنين ثلاثه خمسة .

وكثيرا ما كنت أشتريها « شكك» لعدم توفر الفلوس.

وعندما توفرت الفلوس أصبحت أشتريها بالعلبة « وبالجاروسة » التى تضم ١٠ علب !

وكنت أشعر بالقلق ليلا إذا وجدت أن السجاير الموجودة معى غير كافية .

ومع كثرة التدخين كنت « أكح كثيرا » ، وكنت أخفى مناديلى ، وأجمعها وأغسلها بنفسى ، وكانت « عيالى » تزعل وتقول : واحنا قاعدين نعمل إيه ؟ وكنت أقول لهم هذا شأنى ، لا تزعلوا منى .

والحقيقة أننى كنت لا أريد لهم أن يتأذوا منى وهم يرون المناديل بهذه الصورة السيئة .

واستمر الحال على ذلك إلى أن تعرفت على صديق وهو الدكتور سيد جلال وهو ابن صديقى الكبير سيد جلال نائب باب الشعرية الشهير الذى كانت له صولات وجولات ، فى البرلمان المصرى قبل الثورة وبعدها أيضا والذى يرجع له الفضل فى إلغاء البغاء الرسمى الذى كان قائما فى مصر فى منطقة باب الشعرية وبالتحديد فى شارع « كلوت بك » .

كان صديقى الدكتور سيد جلال يحبنى جدا .

وكنت عندما أجلس معه يلاحظ أننى « أكح » كثيرا وبصورة مزعجة نتيجة لتدخين السجاير .

كان هو يدخن « السجاير » .

وكنت أنا أدخن « السجاير » .

وكان يقول لى : يا شيخ شعراوى لازم تبطل السجاير .

فكنت أقول له : وانت كمان لازم تبطل السجاير .

فكان يرد ويقول : أنا لا « أكح ».. والسيجار الذى أدخنه مصنوع من أنقى أنواع الدخان .. أما السجاير التى تدخنها أنت

فهى مصنوعة من الدخان الأقل نقاوة ، وهى فى مصر من أردأ أنواع الدخان .. هذا بالإضافة إلى أنها ملفوفة بورق من « النشاء» والنشاء من أخطر المواد تأثيرا على الصدر . فالسجاير أكثر لعنة من السيجار ، وأكثر ضررا ، وإذا كنت أنا « لا أكح » فليس معنى ذلك أن السيجار لا يسبب « الكحة » وإنما يرجع ذلك إلى أن عندى « شوية عافية » ، ولكن الضرر قائم ويتزايد .

وقد حاول صديقى الدكتور سيد جلال أن يجعلنى أتوقف عن التدخين ، وكنت أضحك وأقول له : توقف أنت أولاً !

وحدث بعد ذلك أن التقينا فى مكة المكرمة ، أنا وصديقى الدكتور سيد جلال .

وذهبنا للطواف حول الكعبة .

وهناك ، عند الكعبة المشرفة ، فوجئت به وقد أمسكنى من يدى وقال : اللهم إن كانت لى دعوة مستجابة عند بيتك الحرام وفى الكعبة المشرفة فأجبها لى وهى أن يتوقف الشيخ الشعراوى عن التدخين ، وأن تجعله يتوب عن التدخين !

وقال الشيخ : لقد تأثرت كثيرا وأنا أسمع هذا الدعاء من صديقى الدكتور سيد جلال .

بعدها مرضت ، فكرهت التدخين .

وتوقفت عنه .

توقفت رغم أننى كنت أضع علبة السجاير فى جيبى ومعها علبة الكبريت ، وقد استمر ذلك لمدة سنة .

وخلال هذه السنة حدث شىء وهو أننى كنت أشعل عود الكبريت فقط ، وأشم رائحة الكبريت عند اشتعاله ثم ألقى به !

واستمر هذا الوضع عدة شهور ، وبعدها القيت بعلبة السجاير وعلبة الكبريت بعيدا .

وتخلصت من هذه « البلوى » .

ويصمت الشيخ لحظات ويعود فيقول : الحمد لله .. الحمد لله .

●●●

●● ويتذكر الشيخ الشعراوى يوم دخول الميكروفون لأول مرة إلى المسجد الحرام .

يقول : كان حدثا كبيرا ومثيرا .

وكان هناك من اعترض على استخدام الميكروفون .

كان المعترضون قلة .

وثار جدل بين المؤيدين والمعترضين ، وأخذ هذا الجدل بين شكل الحوار الهادئ.

وأذكر أننى قلت لأحد المعترضين يومها : يا سيدى الكريم .. أنت تستخدم المنظار فى القراءة لتكبير الكلام ، ولاحرج فى ذلك .

والميكروفون مثل النظارة .

هذه لتكبير الكلام .

وهذا لتكبير الصوت .

فلا حرج إذا ما استخدمنا الميكروفون ليصل الصوت إلى الحشود التى يهمها أن تسمع ، وأن تتابع مايقال فى الخطبة بالمسجد الحرام .



الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

١١

حكاية « البشارة »

التى تلقاها الشيخ الشعراوى فى الروضة النبوية الشريفة

- بعد عودتى إلى مصر.. تحققت البشارة.. وسكنت إلى جوار سيدنا الحسين
- المسجد النبوى يضم الآن: كل أرض المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ
- الذين اعترضوا على زخرفة المسجد النبوى.. وكيف رددت عليهم ؟



حكاية «البشارة»

تبقى ذكريات الروضة النبوية الشريفة من أغلى الذكريات وأكثرها جلالا فى حياة الشيخ الشعراوى .. وبين هذه الذكريات تأتى حكاية «البشارة» التى تلقاها الشيخ وهو فى الروضة الشريفة .

يقول الشيخ : طوال الفترة التى عملت فيها فى مكة المكرمة . كنت حريصا على أن أصلى يوم الجمعة من كل أسبوع ، مرة فى المسجد الحرام ، والمرة التالية فى المسجد النبوى .

وكان من عادتى فى كل سنة ، قبل العودة إلى مصر فى الأجازة الدراسية ، أن أذهب فى آخر يوم جمعة لى هناك لزيارة النبى والصلاة فى المسجد النبوى وقضاء بعض الوقت فى الروضة النبوية الشريفة .

وكنت أعتبر هذه الزيارة زيارة « توديع » .

والروضة الشريفة محددة فى مسجد رسول الله ﷺ بحيث يسهل عليك أن تتعرف على مكانها .

والرسول ﷺ يقول عنها : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

وكل الناس يحرصون على الجلوس فى الروضة الشريفة .

وفى هذا المكان العبادة متقبلة ومضاعفة ، والدعوات مستجابة ، وأبواب السماء مفتوحة .

وكلما أكثرت من الجلوس فى مسجد رسول الله ﷺ ملأت قلبك من نفحات الإيمان ، وكلما طال بقاؤك ازددت قربا من الله ورسوله ، وبعدا عن المعاصى .

وفى مسجد رسول الله ﷺ توجد أماكن مباركة كثيرة .

هناك المكان الذى كان ينزل فيه الوحى على رسول الله ﷺ .. المكان الذى شهد لقاء الإيمان بين رسول الله ﷺ وبين جبريل عليه السلام .

وفى حديثه عن الروضة الشريفة ، وزيارة « التوديع » التى كان يقوم بها فى نهاية كل سنة دراسية ، وقبل العودة إلى مصر لتمضية فترة الإجازة .. يقول الشيخ الشعراوى :

وحدث فى سنة ١٩٦٣ ، أن ذهبت كعادتى فى نهاية السنة الدراسية لزيارة الحبيب المصطفى .

كان معى صديق وزميل لى فى البعثة الأزهرية اسمه الشيخ برديسى .

وقعدنا فى الروضة الشريفة .

وغلبنى النوم ، فغفوت .

ورأيت « رؤيا » صحوت منها ، وقلت للشيخ برديسى :

ـ ياشيخ برديسى .. احنا موش جايين هنا السنة الجاية .

فسألنى : ليه ؟ .. إيه اللى حصل !

قلت : جاءنى هاتف .. وهكذا فهمت .

وضاق الشيخ البرديسى بهذا الكلام ، لأنه لم يكن قد مضى عليه فى البعثة سوى سنة واحدة .

وعادت البعثة إلى مصر .

وعدت معها .

وحدث أن وقع الخلاف بين عبدالناصر والسعودية .

ولم تعد البعثة إلى السعودية طوال حكم عبدالناصر .

وهكذا تحقق هاتف الروضة الشريفة . وما قلته للشيخ البرديسى ، وهو أننا « موش جايين هنا السنة الجاية » !

●●●

ويتحدث الشيخ الشعراوى عن « البشارة » التى تلقاها فى الروضة الشريفة أيضا ، يقول :

أما البشارة التى تلقيتها فى الروضة الشريفة ، فهى التى سمعتها فى ذلك اليوم من هاتف يقول لى : « إن لنا بابا فى مصر يسمى الحسين » .

وأدركت يومها أننى سأقيم إلى جوار سيدنا الحسين بإذن الله.

وقد تحققت هذه البشارة أيضا بعد عودتنا من السعودية ، وسكنت فعلا إلى جوار سيدنا الحسين .

وكانت هذه القصة مليئة بالمفارقات .

وفى روايته لتلك القصة المليئة بالمفارقات قال الشيخ :

عدت إلى مصر بعد أن تم سحب البعثة الأزهرية من السعودية.

عدت إلى عملى فى طنطا .

كنت أقيم فى طنطا بمنطقة تعرف بسوق ميت حبيش .. كان إيجار البيت « اثنين جنيه » وكانت والدتى تستريح كثيرا لوجودنا فى هذا البيت ، ليس من أجل إيجاره البسيط وإنما لأن سوق ميت حبيش سوق فلاحى تجد فيه كل ما كانت تشتريه من سوق بلدنا دقادوس : الجبنة والقشطة والبيض والخضار .. كل شئ تحتاجه كانت تجده فى سوق ميت حبيش .

ولم يكن لهذا السوق يوم محدد فى الأسبوع ، كان مستمرا طوال الأسبوع فكانت أمى تصلى الفجر وتنتظر أول شعاع لضوء النهار وتذهب إلى السوق لتشترى احتياجاتها وتعود .

وحدث في ذلك الوقت أن اختارنى الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر فى ذلك الوقت (سنة ١٩٦٤) لأعمل مديرا لمكتبه.. فكنت أسافر يوميا من طنطا إلى القاهرة فى الصباح المبكر وأعود فى نهاية اليوم.

كنت أعاني كثيرا لعدم وجود مسكن لى فى القاهرة .

ولاحظ ذلك صديقى وجيه أباظه فاتصل بإبراهيم بغدادى محافظ القاهرة فى ذلك الوقت وطلب منه أن يدبر لى مسكنا فى القاهرة.

وكان إبراهيم بغدادى إنسانا كريما فعرض علىّ شقة فى إحدى العمارات التى كانت تقيمها المحافظة فى منطقة حى معروف ، لكنها لم تعجبنى لبعد المسافة بينها وبين حى الحسين الذى أحب الإقامة فيه والذى هو حى الأزهر الشريف أيضا .

وأذكر أن الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر الذى اختارنى للعمل مديرا لمكتبه قد توسط لى هو الآخر لدى إبراهيم بغدادى ، وقال له إن الشيخ الشعراوى يحب أن يكون إلى جوار أهل البيت ، أى فى حى سيدنا الحسين .

وقال إبراهيم بغدادى إن المحافظة ستتسلم عمارة من الإسكان المتوسط فى ميدان سيدنا الحسين بعد أسبوعين ، وأنه سيخصص لى شقة فى هذه العمارة . وأن الشيخ الشعراوى يستطيع أن يذهب إلى العمارة ويختار الشقة التى تعجبه .

وفعلا ذهبت ووجدت العمارة لها خمسة مداخل واخترت شقة فى مدخل خمسة ، وهى شقة تطل على سيدنا الحسين وعلى الأزهر الشريف .

وأخذت هذه الشقة .. وكتبنا العقد .. وكان الإيجار ١٤ جنيها شهريا .. وهكذا سكنت إلى جوار سيدنا الحسين .. ويومها تذكرت « البشارة » التى تلقيتها فى الروضة الشريفة .. وحمدت الله كثيرا.. فقد تحققت البشارة .. وسكنت إلى جوار سيدنا الحسين .

وقال الشيخ : كان إيجار الشقة ١٤ جنيها ، وهو مبلغ كبير بالنسبة لى فى ذلك الوقت .. فقد كان مرتبى فى حدود ٥٢ جنيها.. وحسبتها فوجدت الباقى بعد سداد هذا الإيجار هو ٣٨ جنيها .. وهناك أيضا إيجار شقة طنطا وهو ٢ جنيه .. يبقى الباقى من المرتب ٣٦ جنيها .. ورحت أزور سيدنا الحسين .. وهناك شكرت الله كثيرا ، وشكوت حالى أيضا .. ولم يمر أسبوع إلا وجاء الساعى « الفراش » الذى كان يعمل معى وقال لى بصوت عال :

– مبروك ياعم !

فسألته : على إيه ؟

فقال : الشقة أصبحت بتسعة جنيه ! لأنهم عملوا تخفيض وطلعت بتسعة جنيه بس !

وأضاف الشيخ الشعراوى قوله : كانت هذه أول مسألة مع سيدنا الحسين .

ثم توالت المسائل بعدُ ذلك !

فى رحاب المسجد النبوى :
المسجد يضم الآن
كل أرض المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ

●● ويعود الشيخ الشعراوى إلى ذكريات المدينة المنورة التى جرت وقائعها فى رحاب المسجد النبوى ، ويتوقف الشيخ الشعراوى عند واقعة تتعلق بالعمارة التى أجريت للمسجد النبوى سنة ١٩٥٢ فى عهد الملك عبد العزيز وانتهت سنة ١٩٥٤ فى عهد الملك سعود .

يقول الشيخ : لقد تضمنت عملية عمارة المسجد بعض الزخارف العربية الجميلة ، وأثير الجدل حول هذه الزخارف .

هناك من وافق عليها وقبل بها ، ورأى فيها إضافة جميلة .

وهناك من رفضها ، واعتبرها بدعة !

واشتد الجدل حولها .

واستمر هذا الجدل إلى يوم الاحتفال بإتمام عمارة المسجد .

وكنت أنا من الفريق الذى يرى أن عمارة المسجد النبوى وبالصورة التى تمت بها ، هى شىء طيب جدا ، وجميل جدا ، وينبغى أن نتوجه بالشكر والتقدير للذين قاموا بهذا العمل الكبير الجليل.

كان لى شرف حضور الاحتفال الذى أقيم بمناسبة إتمام هذه العمارة.

وعندما جاء الملك سعود أخذ يستمع إلى مختلف الآراء ونحن داخل المسجد .

واستمر الجدل ، وطال .

وأردت أنا أن أحسم هذا الموضوع .

كنت أقف على مقربة من الملك سعود .. وأخذت أتطلع إلى عمارة المسجد والزخرفة التى يعترض عليها البعض ، ووجدتنى أردد فى صوت مسموع ، وانبهار : ما شاء الله .. ما شاء الله .. يعز دين الله .. الله الله .. ما أجمل ، وما أروع هذه الزخارف العربية.

والتفت الملك سعود ، كما التفت الحاضرون إلى ما أقول ..

وأخذت أتحرك هنا وهناك .. وأنا أتطلع إلى العمارة الجميلة ، مشيدا بها .. وأخيرا ، قلت باللهجة الدارجة :

– أيوه كده .. علشان نغيظ الكفار !

وابتسم الملك سعود .. وابتسم الجميع .. وانتهت المسألة .

وقال الشيخ الشعراوى : كانت عملية الإعمار هذه مجرد بداية ، ثم جاءت عملية التوسعة والإعمار والتطوير الكبرى التى لم يكن لها مثيل على امتداد تاريخ المسجد النبوى .

إنها التوسعة العملاقة التى أقامها الملك فهد ، والتى سوف يذكرها التاريخ لخادم الحرمين الشريفين .

فقد أصبح المسجد النبوى الآن يضم كل أرض المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ .

●●●

والتوسعة العملاقة التى يتكلم عنها الشيخ الشعراوى ، هى التوسعة التى كلف بها خادم الحرمين الشريفين مجموعة « بن لادن » للقيام بتنفيذها .

وأي حديث عن التوسعة الكبرى للمسجد النبوى ، لابد أن يعود بنا إلي التاريخ .. تاريخ المسجد النبوى ، وأن نمضي معه خطوة خطوة للوقوف على التوسعات التى جرت عبر تاريخه .

● ونبدأ بالسؤال :

● كيف بنى الرسول ﷺ مسجده ؟

● وماذا كانت مساحته على أيام الرسول ﷺ ؟

يذكر التاريخ أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة قادما من مكة نزل قباء ، وكان نزوله عند كلثوم بن الهدم الأوسى من بنى عمرو بن عوف على أرجح الروايات ، كما ذكر ابن هشام . وقد أقام فى قباء بضع عشرة ليلة ، ويذكر البخارى أنها أربع عشرة ليلة صلى فيها فى مسجد لأهل قباء والسابقون من الصحابة والمهاجرين من مكة قبل هجرته ، وكان لكلثوم بن الهدم مربد يبسط فيه التمر لييبس أسسه الرسول الكريم وبناه مسجدا فكان أول مسجد يبنيه النبى ﷺ فى المدينة وقال العلماء فيه أنه كان على الأرجح هو المقصود فى قوله تعالى : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ .

ولقد بنى الرسول الكريم مسجده من اللبن والطوب والحجارة وبلغت أبعاده سبعين ذراعا طولا وستين ذراعا عرضا وخمسة أذرع ارتفاعا وكان إجمالى مساحته ٤٢٠٠ ذراع مربع ، ثم أعاد الرسول الكريم بناء المسجد فى العام السابع للهجرة وبعد غزوة خيبر وزاد

فى مساحته إلى عشرة آلاف ذراع واستخدم فى التوسعة الطين والحجارة فى حين كانت الأعمدة من جذوع النخيل وجعل له ثلاثة أبواب أحدها يتجه إلى بيت المقدس قبل أن يسده الرسول ويفتح بابا آخر باتجاه مكة المكرمة بعد تحويل القبلة تجاهها.

● كما تروى كتب التاريخ الإسلامى أن الزيادة الثانية فى المسجد كانت فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب حيث زادت مساحته بـ ١٤٠٠ متر مربع .. وأن الزيادة الثالثة كانت فى عهد عثمان بن عفان بزيادة ٤٩٦ مترا مربعا . وفى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك ٨٨ هـ بلغت مساحة المناطق التى شملها امتداد المسجد إلى ٢٣٦٩ مترا مربعا .

.. وتم ترميم وإعادة تعمير المسجد النبوى الشريف فى عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله .

.. وتمت التوسعة العثمانية فى عهد قايتباى عام ١٢٦٥ هـ وأضيفت إليه مساحة جديدة بلغ إجماليها ١٢٩٣ مترا مربعا .

.. وتمت التوسعة المجيدية على عهد السلطان عبد المجيد .

● أما التوسعة السعودية فبدأت عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ على يد الملك عبدالعزيز بثلاثة أعمال إنشائية واتسعت مساحة المسجد إلى ١٦٥٠٠ متر مربع وهى أكبر توسعة فى تاريخه منذ العام السابع الهجرى .

.. ثم توالت على المسجد بعدها جملة من التطويرات وأعمال التوسعة خاصة فى عهد الملك خالد بن عبد العزيز بإضافة ١٣ ألف مترمربع إلى أرض المسجد الخارجية دون تناول عمارة المسجد ذاته .

● بعدما جاءت التوسعة الكبرى التى أقامها الملك فهد والتى فاقت كل التوسعات السابقة منذ عهد الرسول ﷺ .

الشعراوى
١٨ سنة
فى
مكة المكرمة



١٢

عن صورة النبى ﷺ

الملامح .. والقسمات
.. ومعالم الجسم

● الشعراوى:
الصحابة وصفوا لنا النبى ﷺ
والنبى وصف للصحابة ..
موسى وعيسى وابراهيم (عليهم السلام)
● الفرق بين معجزة الرسول ..
ومعجزات الأنبياء السابقين ؟



صورة النبى ﷺ

السؤال الكبير، الذى يظل مرفوعا على لسان كل المحبين للنبى ﷺ، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وسوف يبقى كذلك، على طول الزمان هو :

كيف كانت صورة النبى ﷺ ؟

كيف كانت ملامحه ؟

كيف كان لون بشرته ؟

لون عينيه ؟ لون شعره ؟

كيف كانت الصورة العامة للنبى ﷺ ؟

تلك أسئلة تطوف بذهن كل محبى النبى كلما سمعوا اسمه، وصلوا وسلموا وباركوا عليه وعلى أهله وصحبه والتابعين له إلى يوم الدين.

وهى أيضا الأسئلة التى طرحتها على الشيخ الشعراوى وهو يحدثنى عن الروضة النبوية الشريفة، وذكرياته عن المدينة المنورة.

قال الشيخ الشعراوى : لقد وصف النبى ﷺ إخوانه من الرسل والأنبياء الذين رآهم فى ليلة الإسراء والمعراج.

وصفهم لأصحابه الذين سألوه : لقد رأيت الأنبياء.. فصفهم لنا ؟

فقال لهم : أما موسى فرجل «آدم طوال» كأنه من رجال قبيلة «أسد شنوءة» أى أنه اسمر وطويل.

وقد شبهه برجال قبيلة اشتهرت بطول الأجسام وهى قبيلة شنوءة.

وقال النبى : وأما عيسى فكثير «خيلان الوجه» أى أن وجهه كثير الحسنات، يقطر عرقا، كأنما يخرج من ديماس.. أى كأنه خارج من حمام.. وهو أشبه بصاحبكم عروة بن مسعود الثقفى.

وقال النبى : وأما إبراهيم.. فأشبه بصاحبكم هذا.. وأشار إلى نفسه. أى أشبه بالنبى محمد ﷺ.

عن صورة النبى : الملامح والقسمات

● ● وأعود للسؤال عن صورة النبى ؟ صورة سيدنا محمد ﷺ ؟

كيف وصفه صحابته الذين عاصروه وعايشوه فى السلم والحرب، والذين شاهدوه وصافحوه واقتربوا منه ؟

قال الشيخ الشعراوى : أن أجمع ما قيل وما روى فى ذلك هو ما أخرجه يعقوب بن سفيان الحافظ عن الحسن بن على رضى الله عنهما .. فماذا قال الحسن ؟

قال : سألت خالى هند بن أبى هالة بن السيدة خديجة (وكانت السيدة خديجة قبل زواجها من رسول الله ﷺ زوجة لأبى هالة وأنجب منها «هند» وهو اسم رجل) وكان هند «وصافا» أى عينه كالفوتوغرافيا تلتقط، ولسانه يعبر.. سألته عن «حلية» رسول الله ﷺ.. أى عن « أوصافه » فقال :

● كان رسول الله ﷺ فخما مفخما ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر.

● أطول من المربوع.. وهو الرجل الذى ليس بطويل مفرط ولا بقصير.

● وأقصر من المشذَّب.. والمشذَّب هو الرجل الفارع الطول.

● عظيم الهامة.. والهامة هى الرأس.

● مموج الشعر.. والشعر يوصف مرة بأنه «جعد» وهو

الأكرت.. ويوصف مرة أخرى بأنه «سبط» وهو الذى نقول عنه أنه شعر سايح.

ورسول الله كان شعره بين هذا وذاك.

- واسع الجبين.
- دقيق الحواجب.. بينهما عرق يظهر وقت الغضب.
- كث اللحية.
- أدعج شديد سواد العين.. أى أن الحدقة شديدة السواد.
- سهل الخدين.. أى أن خده كان سهلا.. لم يكن عاليا منتفخا أو متورما.
- ضليع الفم ـ أى واسع الفم.
- مفلج الأسنان ـ أى منفرج الأسنان.
- عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ـ أى أن رقبته كانت طويلة متناسقة.
- مشبح الصدر.. بعيد ما بين المنكبين.
- ضخم الكراديس.. أى أن عظامه قوية.
- أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر.
- طويل الزندين.
- رحب الراحة.
- شثن الكفين والقدمين.. أى يميلان إلى الغلظ والقصر.
- سبط العصب ـ أى عظامه فارعة.
- إذا التفت التفت جميعا.
- خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء.
- جل نظره الملاحظة.
- يبدأ من لقيه بالسلام.

● إذا وضع صحابى يده فى يده تظل يده فى يد الصحابى إلى أن يترك الصحابى يده.

● **عن تفاصيل الملامح.. ومعالم الجسم :**

وتبدو الصورة أكثر وضوحا.. عندما نطالع تفاصيل الملامح ومعالم الجسم التى أوردها الإمام البيهقى فى كتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، استنادا إلى كل ما قيل فى وصف النبى ﷺ.. يقول البيهقى :

قال رجل للبراء : أكان وجه رسول الله ﷺ حديدا مثل السيف؟

فقال البراء : لا، لكنه مثل القمر.

وقال على بن أبى طالب : كان فى الوجه تدوير.

وهناك إجماع على أن النبى كان حسن الوجه «ومليح الوجه».

● **عن لون البشرة :** قال أنس بن مالك : كان أبيض، بياضه إلى الحمرة.

وقال على بن أبى طالب : كان رسول الله مشربا وجهه حمرة.

وهناك إجماع على أن الأجزاء غير المعرضة للرياح وللشمس من جسم النبى كان لونها أبيض.

● **عن العين :** هناك إجماع على أن عينى النبى كانتا واسعتين.

الحدقة شديدة السواد..

والبياض فيه شىء من الحمرة.

وكانت الأهداب غزيرة تتشابك من غزارتها.

قال جابر بن سمرة : كنت إذا نظرت إليه عليه الصلاة والسلام قلت : أكحل العينين وليس بأكحل.

● **عن الجبين .. والحواجب :** كان واسع الجبين .. دقيق الحاجبين.. لا يتصلان.. بل بينهما فاصل يجرى فيه عرق يظهر عند الغضب.

● **عن الأنف والخدين :** كان سهل الخدين.. طويل الأنف.

● **عن الـــرأس :** قال على بن أبى طالب : كــان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية.. وقالوا : كث اللحية، وحسن اللحية.

● **عن الفم والأسنان :** قال الحســن بن على : كان النبى ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان.

وقالوا فى وصف فم الرسول : كان حسن الثغر.

وقــال ابن عبـاس : كان رســول الله ﷺ أفلج الثنيتــين « أى أن هناك مسافة بين السنتين الأماميتين فى فمه » وكان إذا تكلم رئى كالنور بين ثناياه.

● **عن الشـــعر :** كان شعر رسول الله ﷺ يضرب كتفيه.

وكان شعرا أسود، له موج، وكان يمــشطه منسدلا بعد البعثة، ثم فرقه بعد ذلك، وكانت له خصــلات يضفرها أربع ضفائر حول أذنيه أحيانا كما تقول أم هانىء.

وقد نفى أنس بن مالك أن يكون النبى قد اســتعمل الحناء.. فقد توفى رسول الله وليس فى رأسه ولحيته عـشرون شعرة بيضاء.. وإنما كانت حمرة هذه الشعيرات من أثر الطيب.

وكان هذا الشـيب القليل عند «العنفـقة» أى الشــعر الذى تحت الشفة السفلى، وفى الصدغين، وفى مفرق الرأس.

● **عن القـــامــة :** كان ليس بالذاهب طولا، وفوق الربعة.. وهذا وصف على بن أبى طالب لقامة الرسول.

وقال أبو هريرة : كان رجلا ربعة وهو إلى الطول أقرب.

● **عن الصدر والأطراف :** كان بعـيدا ما بين المـنكبين ، ضـخم القـدمين ، ضـخم الكفين .. «شــبح الذراعين » أي طويل الذراعين ، ضــخم الكراديس ـ أي المفـاصل والعظـام ـ قليل لحم القــصب .. غليظ الاصابع .

وكان الرسول أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر

● **عن الشـــامـة :** كـان بين كـتفى النـبى «شامـة كـبـيضـة الحمامة» وكانت الشامة اقرب إلى الكتف اليسرى.

وقـد اقتـرح رجل على رسول الله ﷺ أن يـعالجـها له قـائلا : «يا رسول الله إنى كأطب الرجال.. أفأعالجها لك» ؟

قال ﷺ : « لا.. طبيبها الذى خلقها ».

● **عن الصورة العامة :** قال إبراهيم بن محمد «من ولد على».. قال مـا معناه «أن النبى ﷺ كان مـتوسط القامة.. شـعره مموج.. غيـر بدين.. فى الوجـه تدوير.. وهو أبيض مشـرب بحمـرة.. فى رؤوس العظام وأصابع الأطراف ضـخامة.. إذا التفت التـفت معا.. شديد سـواد العين.. طويل الأهداب.. يـمشى بقوة كـأنه ينزل من منحدر.. من رآه بديهة «أى فجأة» هابه.. ومن خالطه معرفة أحبه.

● وكـان يرتدى من الألوان «الأحـمر والأخـضـر» وفى هذين اللونين بالذات كان يبدو آية فى حسن الرجولة.

ويجمع كل من وصفـه عن معاشرة أنه كان إذا غـضب تلون وجهه واحمرت عيناه، وأنه ما ضرب فى حياته امرأة أو رفع يده على خادم.

قال أبـو سـعـيد الخدرى : كـان رسول الله ﷺ أشـد حيـاء من العذراء فى خدرها.

وكان ـ كـما قـالت عائشـة ـ بشرا من البـشر.. يحلب شـاته، ويخدم نفسه، ويخصف نعله ويخيط ثوبه.

وكان ـ كـما قال أنس بن مالك ـ كـان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبى.

وكان إذا مـر على صـبيـان سلم عليهم.. وكـان يضطجع على الحصير ويقول لمن يخفف عنه قسوة فراشه :

«مالى وللدنيا؟ إنما أنا والدنيا كـراكب استظل تحت شجرة.. ثم راح وتركها».. وكان يركب الحمار، ويلبس الصوف، بسيطا.

قال جابر بن سمرة : كان لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام.

قال أياد بن أبى رمثة : انطلقت مع أبى نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته قال لى : هل ترى من هذا ؟

قلت : لا.

قال : إن هذا رسول الله.

فاقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئا لا يشبه الناس، فإذا به بشر!

●●●

●● عن مكانة الرسول .. بين الرسل ؟

ويتطرق الحديث إلى مكانة الرسول محمد ﷺ بين الرسل، وهل ميزه الحق سبحانه وتعالى على غيره من الرسل؟

ويقول الشيخ : إذا أردنا أن نعرض لتقييم الحق لرسوله ﷺ وجدنا أن الحق تعالى حين يخاطب جميع الرسل، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة.. فيقول :

«يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك»..

«يا نوح اهبط بسلام منا».

«يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله».

ولكنه حينما يتوجه بالخطاب إلى حبيبه الأعظم ﷺ.. لم يقل له يا محمد أو يا أحمد.. وإنما قدم نداءه بقوله :

«يا أيها النبى».

وذلك أمر يضع الرسول ﷺ ويرفعه إلى أقرب المكانات من ربه.

بل نجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكدها.. يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى.. فيقسم بالجماد، ويقسم

بالنبات، ويقسم بالحيوان، ويقسم بالملائكة.

ولكنه لم يقسم ببشر مطلقا اللهم إلا برسوله الكريم محمد ﷺ حين يقول : «لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون».. أى وحياتك يا محمد.

فكأن عمر رسول الله، وحياة رسول الله، أمر له مقامه عند ربه.

وإذا كان الناس حين يمدحون إنسانا بحسن الخلق ونبل الصفات وجمال الخلق، فإنهم يمدحونه لأنهم عرفوا الصفات وقيموها، وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء، فإن الحق سبحانه وتعالى يمتدح نبيه فيقول : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ وليس المقصود هنا الخلق المتواضع المتعارف عليه عند البشر، ولكنه الخلق المطلوب لله، ورسوله اجتاز هذه المنزلة فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم.

● **عن معجزاته.. ومعجزات السابقين :**

● ويأتى الكلام عن معجزات الرسل.. والفرق بين معجزة الرسول محمد ﷺ ومعجزات الرسل السابقين .

ويقول الشيخ : فلنعرف أولا ما هى المعجزة؟ المعجزة هى خرق لقوانين الكون، يؤيد بها الله سبحانه وتعالى رسله، بينما يعجز المكذبون لهم أن يأتوا بمثلها.

وقد أيد الله سبحانه وتعالى كل رسول من رسله بمعجزة.

وإذا استعرضنا معجزات الرسل السابقين، وجدنا هذه المعجزات تختلف عن منهجهم.. فالمعجزة شىء والمنهج شىء آخر.

موسى عليه السلام، كانت معجزته العصا، ومنهجه التوراه.

وعيسى عليه السلام، كانت معجزته إبراء الأكمة والأبرص، وكان منهجة الإنجيل.

ولكن معجزة رسول الله ﷺ كانت هى نفس المنهج «القرآن»

ليظل المنهج محروسا بالمعجزة، والمعجزة موجودة فى المنهج.

هذا هو أول اختلاف فى المعجزة بين رسول الله ﷺ وبين الرسل السابقين.

والمعجزة حين تنفصل عن المنهج وتكون قائمة بذاتها، فإنها تحدث مرة واحدة وتنتهى، ولكن المعجزة تظل معجزة إلى يوم القيامة، فمثلا لو فرضنا أن العلم توصل إلى طريقة يشق بها البحر، لا تكون المعجزة قد انكشفت، لماذا؟ لأن موسى عليه السلام ضرب البحر بعصاه فانشق.

إذن فحتى يصل الإنسان - ولن يصْل - إلى أن يضرب البحر بعصاه فينشق، تظل معجزة موسى عليه السلام معجزة باقية.

وعيسى عليه السلام، أبرأ الأكمة والأبرص، وربما توصل الطب الآن إلى دواء يبرىء الأكمة والأبرص، أو يعيد البصر إلى الأعمى.. نقول حتى لو وصل العلم إلى ذلك فسوف تظل المعجزة معجزة، لأنه لن يوجد من يشفى الأكمة، أى الأعمى، والأبرص بلمسة منه، وهكذا تكون المعجزة باقية.

●●●

● ورسول الله ﷺ أسرىَ به من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى وعاد فى نفس الليلة.. وقد يكون العلم الآن قد توصل إلى الطائرة، أو الصاروخ الذى يقطع المسافة فى زمن قليل.. ولكن المعجزة ستظل معجزة، لأنه لا يمكن أن يطير الإنسان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو يمتطى «دابة»، إن هذا لن يتوصل العلم إليه.. إذن المعجزة ستظل معجزة، إلى نهاية العالم، ولن يصل إليها أحد.

والرسل السابقون على رسول الله ﷺ كانت رسالتهم لأقوامهم، فى أماكن محددة، وفترة زمنية محدودة، وكل كتبهم كانت تبشر بالرسول الخاتم محمد ﷺ، ولذلك كانت معجزاتهم لتثبيت المؤمنين من أقوامهم لفترة زمنية محدودة.. فلا تستطيع

الآن أن تقول هذه عصا موسى، وتريها للناس، وتضرب بها البحر فينشق، وتضرب بها الحجر فيخرج منه الماء.

فهذه معجزات حدثت وانتهت ولن تتكرر.

ولكنك تستطيع أن تقول فى أى زمان : محمد رسول الله وهذه معجزته.. وتشير إلى «القرآن الكريم» الذى بين يديك.. إذن فمعجزة رسول الله ﷺ خالدة باقية إلى يوم القيامة.

● والقرآن نزل معجزة لغوية للعرب، يتحداهم فى البلاغة وعلوم اللغة، ولكنه نزل أيضا معجزة لكل خلق الله المختارين، وهذا قمة التحدى.

والقرآن تحدى الأنس والجن فى اللغة عند نزوله وبمعجزاته.. ولكن لماذا تحدى الجن فى اللغة ؟ لأن العرب كانوا كلما ظهر فيهم متفوق فى اللغة والبلاغة قالوا إن له شيطانا يوحى إليه، ولذلك جاء القرآن ليتحداهم.. ومعهم الجن أيضا.. ومن الغريب أن التحدى بدأ بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تنازل التحدى بأن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، ثم تحداهم بسورة واحدة فلم يفعلوا.

● ولم يقتصر القرآن الكريم على معجزة اللغة.. بل جاء بمعجزات لغير العرب، لأنه لو تحدى العرب وحدهم فى اللغة فقط، لقالت الأمم الأخرى التى لا تنطق العربية أن هذا القرآن لا عطاء له لنا، لأنه معجزة لغوية للعرب.

ولذلك جاء القرآن الكريم بمعجزات لكل الدنيا.

كشف القرآن الكريم حجاب الزمن الماضى، وروى لنا ما حدث للرسل السابقين، وكان اتباع هؤلاء الرسل قد أصابتهم الغفلة لطول الزمن، وبدلوا وغيروا فى منهج الله تعالى، فجاء القرآن ليصحح هذا التبديل والتغيير باعجاز مذهل لم يستطع أحد من أتباع الرسالات التى سبقت القرآن أن ينكره.

تحدث القرآن عن الرسل السابقين حديثا لم يكن من الممكن أن يعلمه محمد النبى الأمى الذى لم يقرأ كلمة واحدة فى حياته.



الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة

١٣

يوم لقاء .. «صقر الجزيرة»

حكاية اللقاء الأول بين الملك عبدالعزيز .. والشيخ الشعراوى

- الشعراوى:

أنا قابلت جميع الملوك الذين تولوا قيادة المملكة

- «صقر الجزيرة» .. كان عنوان القصيدة التى قلتها عند اللقاء



يوم لقاء.. صقر الجزيرة

ذات صباح، ونحن جلوس فى بيته بالهرم.. سألت الشيخ الشعراوى :

- قل لنا يا فضيلة الشيخ.. لقد أمضيت فى مكة المكرمة ١٨ سنة، تعمل أستاذا بكلية الشريعة، وقد بدأت العمل فى سنة ١٩٥٠.. ومعنى هذا أنك عاصرت، خلال تلك المدة ، كل الملوك الذين توالوا على قيادة المملكة العربية السعودية، منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز آل سعود، وحتى الآن.. فهل قابلت كل هؤلاء الملوك؟ لنبدأ بالملك عبدالعزيز ؟

قال الشيخ الشعراوى : نعم، أنا قابلتهم جميعا.

قابلت الملك عبدالعزيز، وهو الذى كنت اسميه صقر الجزيرة العربية.

وقابلت الملك سعود، وكانت لى معه حكاية تتعلق بمقام سيدنا إبراهيم ومن أجلها طلبنى وقابلته.

وقابلت الملك فيصل صاحب المواقف التاريخية فى دعم أشقائه العرب فى مختلف الظروف. وخاصة خلال العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧، وظلت، إزالة آثار العدوان والصلاة فى المسجد الأقصى هدفا له، كما كان مساندا أساسيا فى حرب

أكتوبر ١٩٧٣ التى بدأت بالانتصارات العربية فى الجبهتين الشرقية والجنوبية.

وقابلت الملك خالد الذى حفل عهده بالأعمال الجليلة، وتحمل مسئوليات الحكم وأخذ يمارسها بكثير من خوف الله والتقوى والالتزام الدينى، وكان الذى أخذنى إليه الدكتور اليمانى.

قابلت كل هؤلاء يرحمهم الله.

أما الملك فهد، خادم الحرمين الشريفين، فقد قابلته لأول مرة منذ ٤٣ سنة، وكان وقتها أميرا فتيا، وكان أول وزير لأول وزارة للمعارف فى المملكة العربية السعودية، وكان ذلك خلال النصف الأول من الخمسينات. أى أننى أعرفه منذ سنين طويلة.

●●●

ويعود الشيخ الشعراوى إلى البداية، يعود للحديث عن الملك عبدالعزيز مؤسس المملكة وكيف كان اللقاء به يقول :

أتذكر أننى التقيت بالملك عبدالعزيز فى سنة ١٩٥٢.

كنا وقتها فى الصيف.

وكنا قد ذهبنا مع طلاب كلية الشريعة لزيارة دار اسمها دار التوحيد بالطائف.. فقالوا لنا تعالوا سلموا على الملك.. فرحنا لكى نسلم عليه.

وقالوا لى يومها : إن الملك عبدالعزيز يعرف أنك شاعر.. فهل سنسمع شيئا ؟

فقلت : إن شاء الله.

وعندما قابلنا الملك وقفت وألقيت قصيدة، كتبوها بعد ذلك بالخط العريض هناك.

قلت فى القصيدة مخاطبا الملك عبدالعزيز :

صقر الجزيرة حياكم هنا النيل
وعبقرى التحايا بالفعل لا القيل
على أرضكم سلسال معرفة
جرى ببحور العلم ترتيل
دينا نؤديه لا فضل نجود به
والدين فى عنق الأحرار مكفول

●●●

وحديث الشيخ الشعراوى عن صقر الجزيرة العربية يقودنا إلى تاريخ الرجل الذى يقترن حكمه بالسياسة والحكمة. فعندما استتب له الأمر أعلن الملك عبدالعزيز أنه إنما جاهد ليقيم شريعة الله كما جاءت فى كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ وتراث السلف الصالح، من علماء المسلمين. فكان ذلك هو السمة المميزة التى عرفت بها المملكة منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا.

ونتيجة لتطبيق شريعة الله، فقد كان طبيعيا أن يسود الأمن والاستقرار ربوع المملكة، وأن يعرف طريق الحج الأمن الحقيقى لأول مرة منذ ألف سنة وأكثر.

وقد أحيا الملك عبدالعزيز تقليدا عربيا إسلاميا هو أسلوب «الباب المفتوح» والباب المفتوح هو باب الملك، يفتح فى مواعيد محددة كل يوم ليدخل من يريد من المواطنين أيا كانوا ليحضروا «مجلس الملك وولى عهده» المقام فى قاعة واسعة، وليقابلوا الملك وولى العهد وجها لوجه ويفضوا إليهما بما لديهم من شكاوى أو مطالب أو نصائح.

وأسلوب الباب المفتوح هو تعبير عملى، وتطبيق واقعى، لروحية العلاقة بين الملك وشعبه، وهى علاقة تقوم على المحبة المتبادلة والثقة والولاء.

وكان الملك عبدالعزيز يحث المواطنين على أن يتقدموا إليه بما لديهم وأن يقابلوه شخصيا معتبرا أن من كانت له ظلامة أو شكوى ولم يرفعها للملك فهو آثم، وحقه على نفسه.

وفى ذلك يقول :

«يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمنى، وكل أذى يمسه يؤذينى».

«أما المظلمة التى تصلنى، فإنى لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها، والتى لا تصلنى فالذنب فيها على من رأى وكتم».

● وكان إنشاء مجلس الشورى فى المملكة العربية السعودية فى مقدمة ما أولاه الملك عبدالعزيز عنايته بعد تأسيس المملكة، فعهد إليه بالنظر فى مختلف الشئون ودراسة الأنظمة «القوانين» قبل صدورها.

والشورى مبدأ أساسى من مبادىء الحكم فى الإسلام وقد ورد فى القرآن الكريم :

- ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .
- ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ .

وسار رسول الله ﷺ فى مجال الشورى، بما أرسى من قواعد هذا المبدأ وبات مثلا يحتذى، أخذ عنه المسلمون فيما تلا العهد النبوى من أيامهم.

ولقد تعارف الفقهاء على أن الشورى حق وواجب على جميع المسلمين ذوى الرأى والحكمة، وأن لولى الأمر أن يستعين بالنخبة من العلماء والخبراء بالشورى وأن يتقبل النصيحة من أى مسلم، عملا بما جاء فى الحديث الشريف : « الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وفى إحدى الجلسات الافتتاحية لدورات المجلس قال الملك عبدالعزيز مخاطبا أعضاء مجلس الشورى :

لقد أمرت ألا يُسن نظام فى البلاد، ويجرى العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم وتنقحوه بمنتهى حرية الرأى على الشكل الذى تكون منه الفائدة لهذه البلاد، وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام. وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامى، وأنتم فى تلك الدائرة أحرار فى سن كل نظام وإقرار العمل الذى ترونه موافقا لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية.

ورغم قلة الموارد المالية للمملكة العربية السعودية، قبل اكتشاف البترول واستثماره، بدأ الملك عبدالعزيز فى تحقيق طموحاته، لتنفيذ مشروعات الخدمات وتوفيرها لكل مواطن فى جميع أرجاء المملكة الشاسعة.. ومن تلك المشروعات : التعليم، والرعاية الصحية، والرعاية الاجتماعية، والزراعة والمياه، وتأسيس الجهات الحكومية التى بدأ معظمها كمديريات عامة تحولت بعد ذلك إلى وزارات.

ومنذ عهد الملك عبدالعزيز أرسيت مبادىء مجانية الخدمات وفى مقدمتها التعليم، والرعاية الصحية، والرعاية الاجتماعية، حتى باتت هذه المجانية سمة مميزة للمملكة .

أسس قيام المملكة :

● ولقد حرص الملك عبدالعزيز على إنفاذ منهجه الإسلامى فى الحكم والمجتمع وعلى أساس هذا المنهج يقوم كيان المملكة ويستند إلى عدد من الركائز أهمها :

أولا : التمسك بعقيدة التوحيد التى تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانيا : تطبيق شرع الله الذى يحافظ على الحقوق ويحقن الدماء وينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ويضبط التعامل بين أفراد المجتمع ويصون الأمن العام.

ثالثا : جعل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من أعظم وظائف الدولة وأهمها .

رابعا : توفير مناخ اجتماعى وفكر عام ينبذ التطرف وينهى عن المنكرات ويحث على الخير ويشجع عليه.

خامسا : تحقيق الوحدة الوطنية على أساس من الوحدة الإيمانية والتجرد إلى الله فى القول والعمل.

سادسا : الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق النهضة الشاملة التى تيسر حياة الناس وترعى مصالحهم فى ضوء هدى الإسلام ومقاييسه.

سابعا : تحقيق الشورى التى أمر الإسلام بها وتعزيز مرتكزاتها فى الحكم.

ثامنا : بقاء الحرمين الشريفين مطهرين للطائفين والعاكفين والركع السجود كما أرادهما الله بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه الصحيح وأن تؤدى المملكة هذه المهمة قياما بحق الله وخدمة للأمة الإسلامية.

تاسعا : الدفاع عن المقدسات وحماية الوطن وسلامة المواطنين.

وفى الثانى من ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ (٩ نوفمبر عام ١٩٥٣) انتقل الملك عبدالعزيز آل سعود إلى رحمة ربه بعد جهاد متواصل أرسى بعده الدعائم التى قامت عليها المملكة وبنى قواعد الانطلاق والتطور.

●●●

● بعد وفاة الملك عبد العزيز انتقلت الأمانة إلى ابنه الأكبر سعود .

● وفى سنة ١٩٦٤ تنحى سعود ونودى بفيصل ملكا بقرار من الأسرة المالكة وكبار العلماء.. وقد أرسى الملك فيصل قواعد تطور المملكة ونهضتها على عدة مبادئ فى مقدمتها : استناد الأنظمة إلى كتاب الله وسنة رسوله واعتبارهما مصدرين للحكم والتنظيم.

وفى سبيل نشر دعوة التضامن الإسلامى تفرد الملك فيصل بأطول سلسلة من الرحلات قام بها رئيس دولة فى العالم الإسلامى، حث على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، ويعود إليه الفضل فى تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة العالم الإسلامى.

وكان للملك فيصل مواقف تاريخية فى دعم أشقائه العرب فى مختلف الظروف وخاصة خلال العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧، وظلت إزالة آثار العدوان والصلاة فى المسجد الأقصى هدفا له، كما كان مساندا أساسيا فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ التى بدأت بالانتصارات العربية فى الجبهتين الشرقية والجنوبية.

وكان لقرار فيصل التاريخى بوقف البترول عن الدول التى أيدت إسرائيل صدى بالغ فى العالم أجمع مع ما يمثله هذا القرار من التضحية الذاتية بمصالح المملكة، يومها قال فيصل عبارته التاريخية : (إننا نفضل أن نعيش فى الخيام وأن نشرب لبن النواق على أن نفرط فى ذرة واحدة من حقنا الذى يدعونا للجهاد).

وعندما استشهد الملك فيصل عام ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩٧٥م كان من المفروض أن تنتقل الأمانة إلى الأمير محمد بن عبدالعزيز ولكنه ارتأى أن يتسلمها أخوه خالد الذى أصبح ملكا لمدة سبع سنوات من عام ١٩٧٥ إلى ١٩٨٢م.

● وفي حديثه عن الملك فيصل يقول الشيخ الشعراوى : التقيت به لأول مرة أثناء «غسل الكعبة». وبعد ذلك كنت أكون موجودا عندما يكون هناك لقاء رسمي من جانب بعض الوفود المصرية.

وقال الشيخ : ويوم انتقل الملك فيصل إلى رحمة الله، كتبت قصيدة فى رثائه قلت فيها :

هانت خطوب الدهر بعدك فيصل
أيخاف بعدك أى خطب ينزل
خبر كرهت الصدق فيه
ولم يكن كذب يحسن فى سواه
الله فى نعيه كيف تحملت
أعصابه فوق الذى يتحمل

●●●

وقال الشيخ الشعراوى : أما حكايتى مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد فهى حكاية طويلة.

الشعراوى ١٨ سنة فى مكة المكرمة



١٤

حكايتى مع خادم الحرمين الشريفين

أول لقاء مع الملك فهد . كان منذ ٤٣ سنة وكان وقتها أول وزير للمعارف

- كنت أدخل مع الكثيرين فيأخذنى من يدى . ويجلسنى إلى جانبه
- حكاية القصيدة التى تحدث عنها العلماء . . وماذا تقول ؟



فى أول نوفمبر ١٩٩٣ ذهب الشيخ الشعراوى إلى مدينة طنطا لأداء واجب العزاء لأحد أصدقائه .

وهناك ، فاجأته أزمة صحية نقل على أثرها إلى مستشفى طنطا ، حيث قام بإسعافه فريق من الأطباء تحت إشراف الدكتور محمود جامع وهو من الأصدقاء القدامى للشيخ الشعراوى .

وقال فريق الأطباء إن الشيخ الشعراوى فى حاجة إلى عملية جراحية لاستئصال المرارة .

وكانت نصيحة الأطباء أن يقوم الشيخ بإجراء هذه العملية فى لندن ، ودون تأخير .

وفى اليوم التالى (٢ نوفمبر ٩٣) نقل الشيخ من مستشفى طنطا إلى مطار القاهرة فى سيارة إسعاف وبصحبته الدكتور محمود جامع .

وفى مطار القاهرة كانت فى انتظار الشيخ طائرة سعودية مجهزة بكل التجهيزات الطبية التى يحتاجها المريض المسافر لتوفير الرعاية له .

كانت الطائرة هى طائرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز التى أرسلها للشيخ الشعراوى فور علمه بما جرى له فى طنطا .

وكان على طائرة الملك فهد الدكتور عصام عابد شيخ وهو من الشخصيات السعودية التى تربطها صداقة وطيدة بالشيخ الشعراوى .

وفى المطار ، كان فى وداع الشيخ الشعراوى . أبو بكر ربيع القائم بالأعمال والوزير المفوض بالسفارة السعودية بالقاهرة .

وعلى طائرة خادم الحرمين الشريفين نقل الشيخ فى مساء نفس اليوم إلى لندن حيث دخل مستشفى لندن كلينيك .

وفى هذه المستشفى أجرى الشيخ الشعراوى عملية استئصال المرارة .واشترك فى إجراء العملية ثلاثة من الأطباء .

طبيب يهودى اسمه ديفيد روزن .

وطبيب مسيحى مصرى اسمه د. فايز بطرس .

وطبيب مسلم مصرى اسمه د. محمد إبراهيم سويدان .

وعاد الشيخ الشعراوى ، بعد عشرة أيام ، فى صحة جيدة .

●●●

● عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يأتى الحديث .

● سألت الشيخ الشعراوى ، بعد عودته من لندن :

متى تعرفت على الملك فهد ؟

متى التقيت به لأول مرة ؟

قال الشيخ : أنا التقيت بالملك فهد لأول مرة منذ ٤٣ عاما .. عندما عين وزيرا للمعارف .. وكان أول وزير للمعارف .. قبلها لم تكن هناك وزارة للمعارف .. كانت إدارة للمعارف .. وكان الملك فهد يومها شابا متدفق الحيوية والنشاط والحماس ، ولذلك فهو يعتبر رائد التعليم المنهجى المنظم والنهضة التعليمية الحديثة ، فقد عمل على تطوير التعليم إلى المستوى الرفيع الذى وصل إليه الآن .

وأضاف الشيخ : ومن هذه الناحية كانت صلتنا به من وقت مبكر .

وقال الشيخ : عندما عين « فهد » وزيرا للمعارف .. أرادت الوزارة أن تحتفل به كأول وزير للمعارف .. وعملوا حفلة واشتركنا فيها وقلت قصيدة بالمناسبة .. وفى هذه المناسبة قلت :

هنيئا فهذا اليوم عيدك يا علم
صفا لك وجه الدهر وابتسم الحلم
وكنت هلالا كم يكافح فى الدجى
فجاءك فهد فى توحده التبر
وكيف يعيش الجهل فى موطن الهدى
وآل سعود فى حميتهم شم
هو الله يرعى الملك فارعوا حقوقه
فراعى حقوق الله ما ناله ضيم

وقال الشيخ : وزارة المعارف قبل أن تصبح وزارة مستقلة .. كانت ضمن وزارات « الأمن والصحة والمعارف » وكان الذى يتولى ذلك هو الأمير عبد الله الفيصل .. وقد أشرت إلى ذلك فى قصيدتى وقلت :

لقد ساس عبد الله أمنا وصحة
وعلما وذا كل على واحد جم .

ويتحدث الشيخ الشعراوى عن الملك فهد فيقول : طبعا أنا التقيت به كثيرا .. وفى كل مناسبة عندما أذهب إلى هناك يكرمنى الرجل ، وأدخل مع الكثيرين فيأخذنى من يدى ويجلسنى إلى جانبه .

وأذكر أننى التقيت به آخر مرة فى رمضان العام الماضى ..

وكنت ضمن المدعوين على الإفطار . وكان أكبر أمير في الأسرة يجلس على يمينه وأنا أجلس على شماله .

وكنت إذا مشيت معه في الطريق لصلاة المغرب في القصر .. أو بعد انتهاء الصلاة .. كنت أبطيء من خطوتي لكي يسبقني وينساني وسط الحاضرين ، تاركا المجال لغيرى من المقربين منه ، فكان يتنبه ويسأل :

– الشيخ فين ؟

ويلتفت إليّ ويشير بيده لأقترب منه .

قصيدة الشيخ الشعراوى عن الملك فهد وماذا قال عنها العلماء ؟

●● وحديث الشيخ الشعراوى عن الملك فهد يقودنا إلى الحديث عن القصيدة التى تناولها العلماء بالشرح والتحليل .

والقصيدة لها حكاية .

فى يوليو ٩٣ سافر الشيخ الشعراوى إلى السعودية لإجراء عملية فى إحدى عينيه بمستشفى المغربى فى جدة ، ثم غادرها إلى مكة المكرمة حيث أدى مناسك العمرة ، وقصد بعدها المدينة المنورة، واستروح الروضة النبوية الشريفة .

قضى الشيخ أياما ، بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وراح يتأمل طويلا ، وفى انبهار عمليات الإعمار والتطوير والتوسعة التى جرت فى الحرمين الشريفين .

الحرم المكى وهو المسجد الحرام .

والحرم النبوى وهو المسجد النبوى.

وذلك إلى جانب عمليات التطوير والتجميل التى شملت مكة والمدينة ، فى إطار المشروع العملاق للملك فهد .

وكتب الشيخ الشعراوى قصيدة يعبر فيها عن مشاعره لما رآه وما شاهده فى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

● كانت القصيدة بعنوان :

● الهام المغادرة .. للمدينة المنورة .

● والقصيدة تقول :

يا ابن عبد العزيز .. يا فهدُ : شُكْرا

دُمتَ للدين والعروبة ذُخْرَا

أنَت يا فهدُ .. سعدُ آل سعود

والرعايا نشيدُها .. طُلْتَ عَمْرَا

أنت ظل الله فى الأرض تحيا

بك تلك البلادُ .. أمْناً ويُسْرَا

والمبرات من أياديك شَتى

تتسامى .. جوا وبرا وبحرا

●●●

أنت زِدت المقدساتِ شموخا

تتحدى عجائب الأرضِ .. طُرًّا

وَرَعُ الفن قد رأيناه فيها

ورأينا مع الحضارة .. طُهْرَا

فأخذتم من التَمَدُيَن شَطْرَا

لم يغادر من التدين شطرا

وبهذا تأكدت حكمة الله

بأن الإسلام .. دنيا وأخرى

وبلادُ الهـدَى أرى حـرمـيـهـا
وكـان البناء قـد شـيـد دُرًّا
رفـعـت أمـة المـآذن سَـمْـكًا
فـهى أيدى العـبـاد تَضْـرَع ذِكْـرَا

●●●

إيه أم القـرى .. جِـبَـالُك أضْـحَتْ
بُهـدى نَحْـتَـهـا جَـداولُ تَـتْـرى
جُـبْتُ انفـاقـهـا بأنعـم سَـيْـر
فكـأنى ركـبْـتَ فى الفُـلْك نَهـرَا
وكـأن الجـبـال أشـجـارُ روض
من حفيف «التكييف» لم تَغْـدُ صَخْرَا
قـربتْ قـاصى الأمـاكن حـتى
أصـبح الميل فى المسافـات .. شبـرا
يا رعى الـلَّـهُ للمـكارم فـهـدا
وَجَـزَاهُ علـى الطمـوحـات خَـيْـرَا

● ونشرت القصيدة فى صحيفة « الأخبار » (٣/٨/٩٣) .

● وتناولتها بالتعليق صحـيفة « الأهالى » وتوقفت عند العبارة التى يشيد فيها الشيخ الشعراوى بالملك فهد ويقول : « أنت ظل الله فى الأرض » وتساءلت : ما رأى علمائنا الأجلاء فى هذه العبارة ؟

● ورد العلماء الأجلاء على هذا التساؤل فى صحيفة «الأخبار» (١٠/٨/٩٣) .

كان أول العـلماء الأجلاء الذيـن أجابوا على التـساؤل فضـيلة الدكتـور محمـد سيد طنطاوى ، شـيخ الأزهر الآن ، وكان وقتـها

يشغل منصب مفتى الجمهورية .

قال فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية : هذه العبارة من الأقوال المعروفة .. وأنا شخصيا لا أرى فى هذا التعبير ما يتنافى وأحكام الشريعة الإسلامية أو آدابها ، لأنه يفيد أن الحاكم العادل الذى يعتنق الفضائل ويجتنب الرذائل ويعمل على نشر هذه المعانى فى أمته هو خليفة الله سبحانه وتعالى فى هذه المعانى الكريمة التى هى من صفات الله عز وجل .

وأضاف فضيلته : ولاشك أن هذه التوسعة العظيمة للحرمين الشريفين اللذين هما أشرف مكان فى الأرض تعد على رأس الأعمال الجليلة التى تمت فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز والتى تستوجب من كل مسلم الشكر والاحترام والتقدير لخادم الحرمين الشريفين ولشعبه الكريم .. وما جادت به قريحة أستاذنا الشيخ محمد متولى الشعراوى هو لون من الثناء على أهله واعتراف بالفضل لذويه وحض للحكام والمصلحين على مواصلة سعيهم فى وجوه الخير الدينى والدنيوى ، وفى الحديث الشريف : « إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله » .

●●●

● أما المستشار الدكتور جمال الدين محمود نائب رئيس محكمة النقض السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية فيقول : إن كلمة « ظل الله » شىء يتعلق بالمشيئة الإلهية كما ورد فى أحاديث كثيرة منها « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله».. والمقصود رحمته ويمكن أن يكون الإنسان سببا فى رحمة الله عز وجل ووسيلة إلى هذه الرحمة وأداتها فيقال إن فلانا رحمة للناس بفضل الله عز وجل .. وقد صرح القرآن الكريم بأن

الرسول ﷺ رحمة للعالمين وهو الرحمة المهداة ولا شك أن ذلك كله بفضل الله عز وجل .. فإذا قيل عن شخص أنه ظل الله على الأرض فليس معنى هذا أنه شيء آخر خلاف مشيئة الله عز وجل ورحمته وظله على الناس ، وليس الإنسان سوى مظهر أو وسيلة أو أداة لهذه الرحمة .

ويضيف الدكتور جمال الدين محمود قوله : إنه ليس من اللازم أن نأخذ هذه العبارة بالمعنى السياسى لها والتى كانت تشير إلى الحكم المطلق وأقصد بذلك الحكم المستبد المتفرد بأمور الناس .. فليس فى الإسلام هذا المعنى مطلقا لأن ذلك معناه الطاغوت الذى أمرنا أن نكفر به .

ويعلق الدكتور جمال الدين محمود على قصيدة الشيخ الشعراوى قائلا : لقد قرأت هذه القصيدة .. والحقيقة أنها أعجبتنى وقد حملت المعنى على الرغبة فى إظهار جهد وعمل وإنجاز أحد الملوك المسلمين العظام فى خدمة الحرمين الشريفين وكل ذلك بتوفيق من الله وإرادته ومشيئته .. أما عزل العبارة عن السياق الشعرى وحملها على المعنى السياسى وحده فهو مرفوض فى منطق الشعر وفى منطق الشريعة أيضا .

●●●

● ويقول الدكتور عبدالجليل شلبى أمين عام مجمع البحوث الإسلامية الأسبق وعميد معهد إعداد الدعاة : لا يقصد الشاعر بكلمة « ظل الله فى الأرض » أنه نائب عن الله وإنما يقصد أنه نعمة من نعم الله أفاءها الله على الناس ورحمة من رحماته جاءت للناس بهذا العمل العظيم .. فهو يمدح الملك لاهتمامه بتوسعة وتجميل الحرمين الشريفين وتعمير مكة والمدينة ومنحهما مزيدا من الرعاية ، وقد كان الحجاج يصلون فى الأزقة ويتعذر عليهم أن

يستقيموا على القبلة وربما صلى الناس إلى جهتين مختلفتين .. أما الآن وبعد هذه التوسعات فإن كلا من الحرمين يستوعب المصلين جميعا فهذه نعمة ورحمة أفاءها الله على يد هذا الملك وليس فى هذا الكلام شرك ولا إساءة .

●●●

● ويرى الشيخ أحمد حسن مسلم عضو مجمع البحوث الإسلامية ووكيل لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أن ما ذكره الشيخ الشعراوى فى قصيدته إنما هو باب من أبواب المجاز .. ولما كانت الأعمال التى قام بها الملك فهد فى المدينة المنورة ومكة المشرفة من الأعمال المجيدة التى تطلق اللسان بالمديح والثناء فإن هذه المعانى حركت شاعرية الشيخ الجليل فأضاف إلى الملك معنى من المعانى الطيبة التى تشعر الناس بحسناته التى قدمها للإسلام والمسلمين .. وعلى هذا الأساس يكون كلام فضيلته بابا من أبواب المجاز الذى يقرب معنى من المعانى للأذهان .

ويضيف الشيخ مسلم قوله : وإذا أطلق لفظ الظل على عبد من عباد الله وقيل إنه ظل الله فى أرضه فيكون المراد بره وإحسانه وفضله وكرمه وهذا المعنى يشعر به من يحسون بأنعم الله سبحانه وتعالى التى لا تعد ولا تحصى ، فإذا جرت هذه الأنعم من إنسان فإنه يقال له إنه ظل الله فى أرضه .

●●●

● أما الدكتور السيد الطويل عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية السابق فيقول فى تعليقه على ما نشرته صحيفة « الأهالى » : إذا كان ذلك نقدا لقصيدة الشيخ فإن لنقد الشعر معايير وضوابط يعرفها نقاده .. والشاعر بطبيعته يعبر عن مشاعره وعن عواطفه إزاء موقف معين عاشه .. وتجربة شعرية

حملته على أن يقول ما قال .. والشيخ الشعراوى عندما يعبر عن مشاعره إزاء مغادرته لمدينة رسول الله ﷺ وقد لفت نظره عمران المسجد النبوى وما أنفق فى توسعته من مليارات الريالات فهو إنما يعبر عن أمر فى الحقيقة يدعو إلى الإعجاب من كل إنسان فضلا عن أن يكون شاعرا .. وعبارة « ظل الله فى أرضه » هذه كلمة شاعر إن دلت على شىء فإنما تدل على توقد الوجدان .

ويضيف الدكتور السيد الطويل قوله : ومن الناحية الشرعية لا يوجد حاكم يقول عن نفسه أو يقال عنه إنه ظل الله فى الأرض إلا إذا كان ملتزما بشريعة الله يأخذ نفسه وشعبه بالحق والعدل يسير فيهم سيرة حسنة وعند ذلك يكون ظلا لخالقه بمعنى أنه حقق القيم والمبادىء التى أمر بها رب العالمين فى كتابه ونفذها رسول الله ﷺ فى سنته .

●●●

● ويصغى الشيخ الشعراوى لما أثير حول قصيدته ، وموقف العلماء الأجلاء الذين تصدوا للرد وقالوا كلمتهم .. ثم يقول معقبا : الحمد لله .. فالسلطان ظل الله فى الأرض يفىء إليه كل مظلوم .

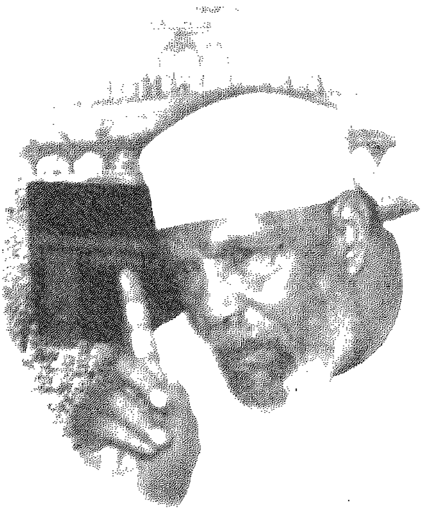
الفهـــرس

رقم الإيداع ٥٠٤٨/٩٩

الترقيم الدولى

I. N. B. S

977 - 08 - 0814 - 8



طبع بمطابع أخبار اليوم